هنيدة غانم *

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة

«بعد عشرين عامًا من الآن سأحصل على عفو. أنتم تعرفون ذلك في أعماقكم، بعد عشرين عامًا سأحصل على عفو، سيقولون: كانت إسرائيل في فترة صعبة، كان الشعب مقسومًا، وأشياء تافهة أخرى..... سيرتّبون لي إعفاءً، وأنا سأعتذر بلطف، وأقول: فعلت ذلك تحت تأثير ضغط مجتمعي، وسيُطلق سراحي.

بعد شهر من ذلك سيثيرون بعض الضجة في الإعلام، ثم ينساني الجميع. سأسكن في القدس، وفي كل مرة سأخرج للشارع سيقف الحي بأكمله وسيصفّق لي بحرارة، بعد عام ستُعقد انتخابات البلدية، وسيأتي رئيس البلدية ويلتقط صورة معي، أنتم حقًّا تعلمون ذلك، وتدركونه جيدًا، في يوم من الأيام بعد خروجي سأقابل إيتان هابر،[1] سيكون مسنًا يساريًا يستخدم عكّازًا- [اليساريون] يُعاقبون بشيخوختهم، وسيصفني بالقاتل؛ قاتل... سيطلب من حولي في الشارع التدخل لمواجهته وإسكاته، وأنا سأردّ عليهم: تجاهلوا الأمر إنه مجرّد مسنّ! وفقط الرب من حافظ علينا بيننا، وسيتجاهلونه! لكن قبل أن أذهب سألتفت إليه وأُعطيه هذا (حركة يد نابية!»)

(١٩٩٦ مونولوج متخيل *ليغئال* عمير من زنزانته في *البرنامج الكوميدي الساخر* - «هحميشاه هكامريت»)[2]

يسألونني إن كنا سنحيا على حرابنا إلى الأبد؟ نعم.

(بنيامين نتنياهو)[3]

* المديرة العامة لمركز «مدار».

مقدمة

تمخضت الانتخابات البرلمانية للكنيست الخامسة والعشرين، التي جرت في ١ تشرين الثاني ٢٠٢٢، عن حصول معسكر بنيامين نتنياهو على ٦٤ مقعدًا، مكّنته من تشكيل حكومته السادسة بتحالف يميني خالص ضم إلى جانب حزب الليكود الأحزاب الحريدية (شاس ويهدوت هتوراة) و«الصهيونية الدينية» بزعامة بتسلئيل سموتريتش وحزب «العظَمة اليهودية» بزعامة إيتمار بن غفير إضافة إلى حزب نوعام بزعامة آفي معوز. في المقابل، تراجع اليسار الصهيوني، وفشل ميرتس في عبور نسبة الحسم. تكشف تركيبة الحكومة وخطوطها العريضة فائض اللغة القومية، وكثرة الوزارات والتسميات الجديدة التي صكت التمحور حول الهوية القومية والاستيطان والتهويد. جاء في الخطوط الأساسية للحكومة: «للشعب اليهودي حق حصري لا جدال فيه في جميع أنحاء أرض إسرائيل. ستقوم الحكومة بتطوير الاستيطان في جميع أنحاء أرض إسرائيل في الجليل والنقب، والجولان، ويهودا والسامرة».[٤] تتميز الحكومة الجديدة – إلى جانب توجهها اليميني الاستيطاني والديني وخطابها الاجتماعي المحافظ - بشكل خاص بأمرين:

١. تولي متطرفين - ممن اعتبروا سابقًا خارج «الإجماع» الإسرائيلي وكانوا مُدرجين على القوائم الخاضعة لمراقبة جهاز الشاباك - مناصب وزارية رفيعة فيها ذات أثر إستراتيجي على المسألة الفلسطينية. تم في هذا الإطار تعيين إيتمار بن غفير وزيرًا للأمن القومي، ووُسعت صلاحياته لتشمل المسؤولية عن حرس الحدود، على الرغم من أنه سبق أن قدمت بحقه ٥٣ لائحة اتهام أدين من بينها بثماني تهم جنائية تشمل التحريض والعنصرية وحيازة مواد إعلامية لمنظمة إرهابية ودعم منظمة إرهابية.[٥] كما تم تعيين بتسلئيل سموتريتش الذي يدفع باتجاه تحقيق مشروع «أرض إسرائيل» وزيرًا مسؤولًا عن الإدارة المدنية في وزارة الدفاع، وكان سموتريتش اعتقل في ٢٠٠٥ على يد جهاز المخابرات -الشاباك- ثلاثة أسابيع من دون أن تقدم ضده في النهاية لائحة اتهام.

٢. الثورة القضائية التي تعمل على تحقيقها. تتبنى الحكومة الحالية خطة تطلق عليها «إصلاح القضاء» يقوم عليها وزير القضاء ياريف ليفين، وتشمل سن «فقرة التغلب» التي تتيح للكنيست إعادة سن قوانين رفضتها المحكمة بأغلبية ٦١ عضو كنيست، إضافة إلى تغيير تشكيلة لجنة اختيار القضاة بحيث تعطى للسياسيين قوة أكبر في عملية اختيارهم، وإلغاء بند المعقولية الذي يتيح للقضاة التدخل وإلغاء قوانين بحكم عدم معقوليتها.

يترافق تصدر اليمين المتطرف بتنويعاته الدينية والاستيطانية والشعبوية ومشاريعه المطروحة لتغيير البنية القضائية بشكل خاص مع تصاعد الصراع الداخلي، وانطلاق دعوات من شخصيات سياسية وقضائية وثقافية للتصدي لذلك، إضافة لدعوات للتمرد المدني لإنقاذ «إسرائيل» وحمايتها من الانزلاق إلى الهاوية والخراب الكامل. تكشف رسائل المعارضة ومحاور خطابها ونوع القيم التي تروج لها وتدعو لحمايتها عن وجود توافق شبه كامل بينها وبين مكونات الحكومة على مبادئ الصهيونية المركزية التي تتحوصل في الفصل بين أزمة إسرائيل الداخلية والمسألة الفلسطينية بكل مستوياتها سواء في الأراضي المحتلة ٦٧، أو في الداخل الفلسطيني أو قضية اللاجئين، وحصر النقاشات حول حقوق الأقليات وحمايتهم وقضايا النساء والمثليين مقابل استبعاد الفلسطينيين وحقوقهم وحرياتهم، واعتبار الاحتلال قضية خارجية تدار وفق الاحتياجات الأمنية والمحاذير الدولية.

تعكس عملية الفصل بين الاستعمار وأزمة إسرائيل الداخلية إلى حدّ بعيد مأزق الصهيونية العلمانية المؤسسة ووصولها نهايتها لسببين أساسيين كما يحاجج هذا المقال، وهما: أولًا، فشلها في «عقلنة» الأسطورة الدينية التي بنت فكرة القومية اليهودية على أساسها، وتصدُّر هذه الأسطورة المشروع الصهيوني على إثر التحولات الجيو-إستراتيجية التي تمخضت عن احتلال ١٩٦٧ وتقاطعها مع التغيرات السوسيولوجية؛ ثانيًا، فشل الصهيونية العلمانية في إخضاع السكان الأصليين الفلسطينيين أو التوصل لأي تسوية معهم وعدم نجاحها في حسم المسألة الفلسطينية على الرغم من مرور أكثر من قرن على بداية الصراع. بكلمات أخرى، يعكس صعود أقصى اليمين الجديد التطور الجدلي للصهيونية على خلفية التفاعل المستمر بين العامل الذاتي الفكري الذي يرتبط بقيمها الدينية المعلمنة وأساطيرها القومية المؤسسة، والعامل الموضوعي الذي يرتبط بالشرط التاريخي والاجتماعي المتغير في مجتمع المهاجرين وتقاطعه مع عناد الصراع مع السكان الأصليين وعلاقات القوة المتحركة والمتداخلة سواء الإقليمية أو المحلية أو الدولية.

من هنا يمكن فهم أقصى اليمين الجديد كأحد أطوار

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

على خلاف تيارات اليمين الجديد العالمية التي تحلم بدولة إثنوقراطية تتطابق فيها حدود الدولة وحدود المواطنة الإثنية، فإن نقطة الصفر التي ينطلق منها اليمين الإسرائيلي هي الدولة الإثنوقراطية القائمة على فكرة الدولة اليهودية القومية، وهي نقطة الصفر لكل الحقل السياسي الإسرائيلي التي تجتمع عليها تقريبًا الأحزاب كافة، مما يعني أن نقطة نهاية اليمين المتطرف العالمي هي نقطة بداية اليمين الإسرائيلي.

الصهيونية وتحوراتها، باعتباره مسعى «راديكاليًا» من أجل «الانتصار» عبر حسم المسألة الفلسطينية وتحقيق الصهيونية بشكل كامل وعلى أكمل وجه في كامل «أرض إسرائيل» من خلال إعادة بناء الهوية الجماعية اليهودية على أسس قيمية قومية يهودية ومحافظة. يمكن في هذا الإطار متابعة سيرورة تصلب تيار أقصى اليمين الجديد وعلاقتها بالصراع على الأرض وهوية الدولة بدءًا من تفكيك مستوطنة «يميت» والانسحاب من سيناء (١٩٨٢) ولاحقًا بمحطات إدارة/ تسوية/ إخضاع المسألة الفلسطينية خاصة منذ اتفاقيات أوسلو (١٩٩٣) مرورًا بخطة فك الارتباط (٢٠٠٥).

على خلاف التيارات الصهيونية التي حاولت وما زالت الدفاع عن المشروع الصهيوني عبر خطاب قيم «العقلانية» و«المؤسساتية» و«الرسمية» وفكرة «الدولة اليهودية والديمقراطية» التي يمكن لها أن توازن بين حقوق الإنسان والحريات والطابع اليهودي للدولة، يتميز أقصى اليمين الجديد بفجاجته ومعاداته المباشرة وغير الاعتذارية للفلسطينيين، وتبجيل العظَمَة القومية، واعتقاده بإمكانية الحسم من خلال القوة حصرًا، إضافة إلى نزعته الشعبوية واعتقاده بطبيعية الفوقية اليهودية، ومناهضة النخب والمؤسسة القضائية وقيم الليبرالية والمساواة.

تنضوي تحت مظلة اليمين الجديد مجموعة من الأحزاب والجماعات والجمعيات والشخصيات المختلفة التي تعمل عبر شبكة واسعة من الأطر، ومن خلال أدوات متنوعة جدًا تجتمع على ضرورة ١) **السيطرة على أرض إسرائيل، ٢) ترسيخ طابع إسرائيل كدولة قومية يهودية حصرية، ٣) بناء الهوية الجماعية على أسس يهودية محافظة**. تشكل هذه المبادئ عقدة ربط تيارات اليمين الجديد والقاسم الذي يجمعها، وتحت ظلها تنضوي التنويعات الأيديولوجية «القومية والمحافظة والدينية والاستيطانية». وعلى أساسها تشيد المشاريع السياسية والرؤى الفكرية، وتنسج الأساطير الجماعية حول الفرادة والاستثناء التاريخي والديني للشعب اليهودي وأرض إسرائيل. ومنها تصاغ الرواية القومية لليمين الجديد التي يسوقها بوصفها تمثل «الحقيقة الوحيدة» ومنها يصنع الغلاف الرمزي والمعنوي للاستعمار الاستيطاني والتبرير الأخلاقي للاحتلال ومناهضة المعارضة.

وعلى غرار أحزاب اليمين العالمية ذات النزعة الفاشية المتمادية التي تتميز بوجود زعيم كاريزماتي يتمتع بولاء شبه مطلق من جماعات كاملة مثل فيكتور أوربان في هنغاريا أو ناريندتا مودي في الهند وبولسينارو في البرازيل وفلاديمير بوتين في روسيا، فإن اليمين الإسرائيلي الجديد يتحلق حول بنيامين نتنياهو ويرى فيه قائدًا عظيمًا استثنائيًا ما يؤهله لقيادة مشروع الخلاص المرغوب واستكماله. وأطلق عدد من الباحثين والمراقبين على الولاء المطلق لنتنياهو والإعجاب الكبير به والدعم - غير المشروط- له بظاهرة البيبيزم (Bibism) التي تنطوي على الدفاع الشرس عن نتنياهو وعائلته والدفاع عن كل تصرفاته واتهام خصومه بالتآمر مع الدولة العميقة والنخب من أجل الإطاحة به.[٦] يتقاطع اليمين الجديد الإسرائيلي مع أقصى اليمين العالمي الجديد والشعبوي بمجموعة من المميزات الأيديولوجية وأشكال الخطاب، ويختلف عنه بأخرى بسبب السياق الاستعماري الاستيطاني الإثني الذي يعمل فيه. إذ على خلاف تيارات اليمين الجديد العالمية التي تحلم بدولة إثنوقراطية تتطابق فيها حدود الدولة وحدود المواطنة الإثنية، فإن نقطة الصفر التي ينطلق منها اليمين الإسرائيلي هي الدولة الإثنوقراطية القائمة على فكرة الدولة اليهودية القومية، وهي نقطة الصفر لكل الحقل السياسي الإسرائيلي التي تجتمع عليها تقريبًا الأحزاب كافة، مما يعني أن نقطة نهاية اليمين المتطرف العالمي هي نقطة

تحولت محطات المنازعة حول مستقبل الأرض المحتلة وهوية إسرائيل القومية إلى محطات فارقة في بلورة اليمين الجديد الذي ضفر خطابه القومي حول فكرة «أرض إسرائيل» بمفاهيم الحق التاريخي الذي أسسه، واعتبر أي تنازل عن أجزاء من الأراضي المحتلة أو تسوية تخصها بمثابة تساوق مع العدو وهزيمة وخنوعًا وصولًا إلى كونها ضلالًا وخيانة.

بداية اليمين الإسرائيلي، ومنها ينطلق إلى حسم الصراع مع الفلسطينيين وتجاه معارضيه ما يجعل مشروعه أكثر تطرفًا وخطورة بكثير. من جانب آخر، يتقاسم اليمين الجديد الإسرائيلي مع العالمي نزعته الشعبوية والسلطوية ويلتقي معه حول الإسلاموفوبيا، و«إعراب» الصراع على أسس حضارية جوهرانية.

في هذا المقال المطول الذي يشكل جزءًا من كتاب مخصص لظاهرة اليمين الجديد في إسرائيل سيصدر قريبًا عن مركز «مدار»، استعراض لظاهرة أقصى اليمين الجديد وخلفية صعوده وشبكة عمله، ومشروعه القومي، والسياسي، والاستعماري. ينقسم المقال إلى ٤ أجزاء بالإضافة إلى المقدمة. يتابع الجزء الأول محطات صعود اليمين الجديد في تقاطعات الصراع على مستقبل «أرض إسرائيل» والعلاقة بين صعوده وسؤال الاستعمار في كامل فلسطين التاريخية وصولًا إلى إقامة حكومة نتنياهو الثانية في ٢٠٠٩. يستعرض الجزء الثاني خارطة اليمين الجديد من خلال تتبع أهم الأحزاب والجمعيات التي تنضوي تحت مظلته، ومصادر تمويله، في ما يستعرض الجزء الثالث مميزات أيديولوجيا اليمين الجديد وانعكاساتها على مشروعه السياسي. ويستعرض الجزء الرابع مشروع اليمين الجديد لبناء الهيمنة البديلة، وتشمل أهم مرتكزاتها: بناء الهوية اليهودية كنقيض للإسرائيلية، وتأسيس الهوية القومية الجماعية على أسس المحافظة، وتحصين إسرائيل كدولة قومية يهودية حصرية مبنية على الفوقية الإثنية، وإعادة ضبط حدود أرض إسرائيل في ظل المتغيرات الجيو-إستراتيجية.

١. صعود اليمن الجديد: الصراع حول الانسحاب من «أرض إسرائيل»

حَمَلت الصهيونية المؤسِسة - بحُكم بنيتها القائمة على علمنة الدين وأساطيره ومطابقة الدين والقومية وتحويلهما إلى كينونة واحدة - إمكانيات تحولها إلى التدين والتطرف القومي. إذ إن القيم والأساطير الدينية واللاهوتية ثابتة نسبيًا ومن الصعب تغييرها، لكن الشروط الاجتماعية شروط متحركة ومتغيرة باستمرار. في هذا الإطار، فإن الأساطير المعلمَنة تحررت في ظل التطورات التاريخية نحو توقها الخلاصي الديني وأفلتت من محددات «العقلانية-العلمانية»[٧] التي اعتقد المؤسسون أنهم يتحكمون بها حتى تحولت إلى ميزة الصهيونية الجديدة في العقدين المنصرمين.

دفع نحو هذا التحول بشكل أساسي تغير الشروط التاريخية بعد العام ١٩٦٧ واحتلال الأراضي الفلسطينية التي تشكل وفق المخيال الديني واليمين القومي قلب «أرض إسرائيل». تقاطع ذلك مع التحولات العميقة في البنى الاجتماعية والديمغرافية التي أدت إلى إقامة حلف من مهمشي «مباي» وصولًا إلى إقامة التحالف بين الشرقيين والليكود وانضمام التيار الاستيطاني إليهم مما أدى إلى الإطاحة بحكم مباي في ١٩٧٧. استمرت التحولات الديمغرافية في تصليب قيم اليمين الذي تحول تدريجيًا من العلمانية الليبرالية إلى المحافظة الاجتماعية والتديين وتوازى ذلك مع أفول قوة العلمانية المؤسِسة في ظل التغيرات الديمغرافية المستمرة وزيادة حجم المستوطنين والحريديم وتراجع قوة العلمانيين إلى ٤٠٪ من الإسرائيليين بعد أن كانوا يشكلون ٨٥٪ من اليهود في ١٩٤٨.

في هذا السياق، تحولت محطات المنازعة حول مستقبل الأرض المحتلة وهوية إسرائيل القومية إلى محطات فارقة في بلورة اليمين الجديد الذي ضفر خطابه القومي حول فكرة «أرض إسرائيل» بمفاهيم الحق التاريخي الذي أسسه، واعتبر أي تنازل عن أجزاء من الأراضي المحتلة أو تسوية تخصها بمثابة تساوق مع العدو وهزيمة وخنوعًا وصولًا إلى كونها ضلالًا وخيانة، وقد شكلت في هذا الإطار اتفاقيات أوسلو، ومن ثم خطة فك الارتباط وتقاطعها مع وجود شخصية بنيامين نتنياهو، لحظات مفصلية في بلورة أقصى اليمين الجديد وتصليب عوده.

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

١,١ اتفاق أوسلو واغتيال إسحق رابين

جسدت حكومة رابين الثانية آخر مراحل «الصهيونية المؤسسة الاشتراكية- العلمانية»، وتشكلت الحكومة بعد أن حصل حزب العمل في انتخابات الكنيست الـ ١٣ التي جرت في ٢٣ حزيران ١٩٩٣ على ٤٤ مقعدًا وحصل ميرتس على ١٢ مقعدًا. مكنت هذه النتائج إسحق رابين من إقامة حكومة ضمت إضافة للعمل وميرتس حزب شاس المتدين (٦ مقاعد) ودعمتها من الخارج كل من: الجبهة الديمقراطية للسلام (٣ مقاعد) والحزب الديمقراطي العربي (مقعدان). وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي نجحت فيها الصهيونية الاشتراكية المؤسسة من العودة للحكم في إسرائيل بعد هزيمتها في ١٩٧٧. جاءت النتائج بعد معركة انتخابية حامية حول «العملية السلمية» التي انطلقت في مؤتمر مدريد (١٩٩١)، ودارت رحاها بين تيار عقائدي يميني استيطاني ديني رافض للعملية السياسية قاده إسحق شامير رئيس الحكومة الليكودي ومجلس «يهودا والسامرة وغزة» (يشاع) الذي يمثل الصهيونية الدينية وبين تيار صهيوني براغماتي داعم للعملية السياسية يضم حزب العمل بقيادة إسحق رابين الذي وعد بالعمل من أجل تحقيق «السلام»، وحزب ميرتس الذي أطلق عليه في الخطاب العام تيار «اليسار».

في ١٣ أيلول ١٩٩٣، وقعت حكومة رابين مع منظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي الذي يعرف باتفاق أوسلو الأول، الذي أفضى إلى انسحاب إسرائيل من المدن الفلسطينية وإقامة السلطة الفلسطينية. وبغض النظر إن كان الاتفاق سيفضي بالفعل إلى إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية، فإنه سُوّق من قبل معسكر المعارضة اليميني الذي شمل في حينه الليكود وحزبي تسومت ومولیدت إضافة إلى الصهيونية الدينية بأنه تنازل عن «أجزاء من الوطن»، وينطوي على خطر وجودي يهدد مستقبل إسرائيل. بكلمات نتنياهو، الذي بدأ في تلك الفترة بالصعود كزعيم اليمين القادم، فقد قال: «لن نعيش مع هذه الاتفاقيات، معها سنصل إلى خطر. خطر وجودي، لذلك أنا مرعوب، أنا مرعوب على بيتي وعلى بلادي».[٨] وقوبل تمرير اتفاق أوسلو بأصوات الأحزاب العربية بالإدانة، واعتبر بمثابة مسّ بأحد أهم تابوهات الصهيونية.

ترافق توقيع اتفاق أوسلو بحملة تحريض شرسة من قبل معسكر اليمين تخللها تحريض على رابين وبيريس وتوزيع صورهم بالكوفية وملابس النازية (SS)[٩] واتهامهم بالخيانة، وإقامة الطقوس التلمودية لتعجيل موتهم.[١٠] في ٤ تشرين الثاني ١٩٩٥ اغتيل إسحق رابين على يد يغئال عمير، وهو طالب حقوق في جامعة بار إيلان؛ متدين ويميني من أصول شرقية يمنية، بهدف إيقاف الانسحاب من «أرض إسرائيل». وبحسب أقوال يغئال عمير أمام لجنة التحقيق الرسمية التي أقيمت على خلفية الاغتيال برئاسة القاضي مئير شمغار فإن هذا الاغتيال جاء مدعومًا بفتاوى دينية، ولم يكن ليقوم بذلك من غير هذه الفتاوى.[١١] وعن هذا الاغتيال وعلاقته بفكرة أرض إسرائيل ومنع الكارثة تحدث الحاخام سادان في ٢٠٠٨ في تفهم:

> «أفترض أن يغئال عمير، الذي اشتعل في قلبه حب أرض إسرائيل كان يرغب جدًا جدًا في منع كارثة لشعب إسرائيل، مع ذلك ولأنه إنسان مشوش، لم يفكر بشكل صحيح، وقام بأعمال كارثية».[١٢]

اعتبر يورام بيري أن الاغتيال هو بمثابة حرب طاحنة ثقافية بين من يعرفون أنفسهم كيهود ومن يعرفون أنفسهم كإسرائيليين أو بين تل أبيب والقدس: فالأولى تمثل الإسرائيلي العلماني الحداثي الذي ينظر للغد، وتمثل الثانية اليهودي الذي يريد العودة إلى الماضي التليد.[١٣] على ضوء ذلك، يمكن القول إن اغتيال رابين شكل لحظة انتصار للتيار اليهودي الذي يحلم بغد على صورة ماض سحيق، وهزيمة المشروع الصهيوني بصيغته المؤسِسة العلمانية-الغربية-الأشكنازية الذي بنى فكرته على قدرته على التحكم بالمستقبل كما أشرنا أعلاه. فعليًا نجح الاغتيال في تغيير المشهد السياسي ووجهته، وفي أثره دخل معسكر «الصهيونية المؤسسة» في مسار أفول مستمر. وباستثناء عامَين (١٩٩٩-٢٠٠١) تقلد فيهما أيهود باراك رئاسة الحكومة، لم يعد هذا المعسكر للحكم بتاتًا، انتهت فترة حكومة باراك القصيرة بفشل قمة كامب ديفيد وبتفجّر الانتفاضة الثانية وانطوت على الدفع نحو سيطرة اليمين وانهيار اليسار. وصُورت أحداث العنف الدراماتيكية التي ميزت الانتفاضة الثانية في الخطاب الرسمي والحزبي والإعلامي على أنها انفلات إجرامي دموي، وحُمِّل الفلسطينيون كامل المسؤولية عن هذا الانفجار واتُّهموا بالمراوغة وفقدان المصداقية، واعتبر رفضهم لـ «تنازلات باراك غير

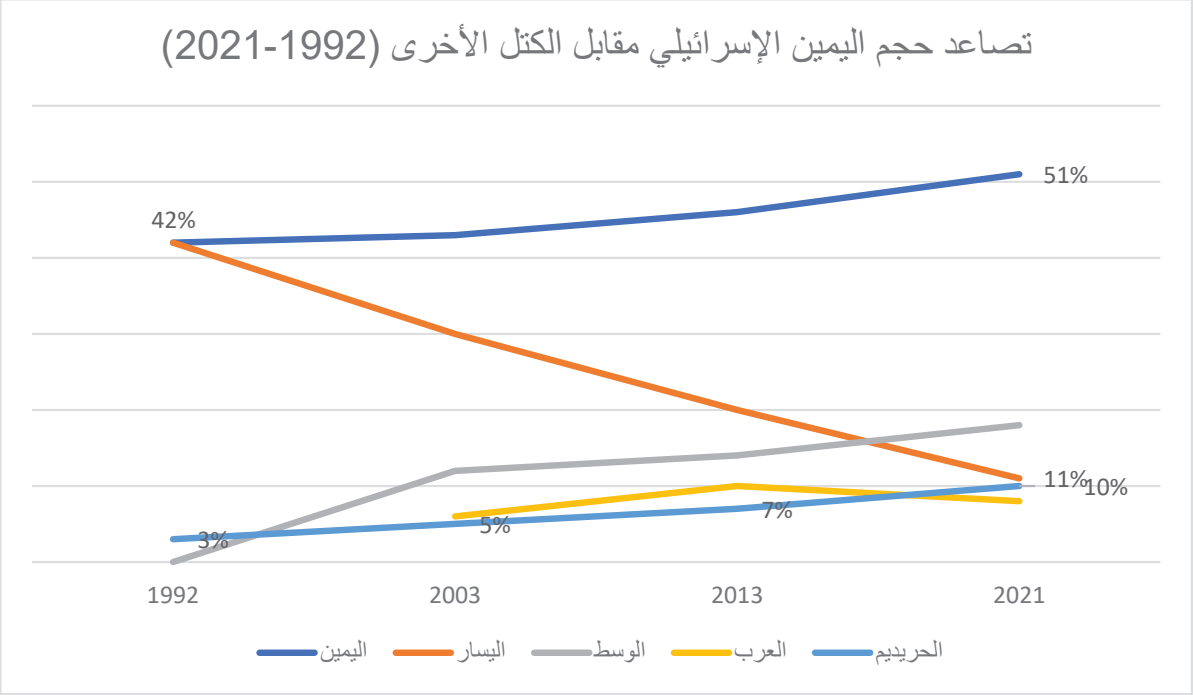

المسبوقة» بمثابة «تأكيد» ممهور بالدم لادعاء اليمين الأساسي بأن لا حل مع الفلسطينيين، وأن قدر إسرائيل أن تعيش على السيف للحفاظ على وجودها وأمنها، وأنه لا سبيل في هذا الإطار غير القوة ومزيد من القوة لإخضاع الفلسطينيين. جاء إعلان إيهود باراك الذي ترأس حكومة «اليسار» أنه «لا يوجد شريك فلسطيني» بمثابة إعلان ضمني عن فشل خيار اليسار، وتأكيد أن خيار اليمين للحسم عبر القوة والردع بمثابة الخيار الوحيد في الأفق. ومثل أرئيل شارون بشخصيته وتاريخه الدموي والعسكري، وعلى الرغم من دوره في اندلاع الانتفاضة الثانية بعد اقتحامه المشهدي لباحات الحرم الشريف في ٢٨ أيلول ٢٠٠٠، خيارًا مثاليًا لتحقيق الآمن، وفي الانتخابات البرلمانية التي جرت في شباط ٢٠٠١ فاز شارون الذي ترأس الليكود حينها بـ ٦٢٪ من الأصوات مقابل ٣٨٪ لأيهود باراك، وأصبح بالتالي رئيسًا للوزراء، أما حزب العمل الذي «فشل» في تحقيق «السلام» ولم يعد لديه ما يطرحه لتسوية الصراع، فدخل في مسار تخبط وعدم استقرار انعكس في تبدل أكثر من ١٢ شخصًا على رئاسته خلال أقل من عقدين، وتحول تدريجيًا من حزب السلطة إلى حزب ثانوي ثم تدريجيًا إنهار لحزب صغير يصارع لاجتياز نسبة الحسم كما ظهر في انتخابات ٢٠٢٢ .

١,٢ خطة فك الارتباط وانقسام اليمين إلى يمين براغماتي وأقصى يمين جديد

تشكل محطة فك الارتباط المحطة الثانية المركزية في صعود قوة أقصى اليمين الجديد. إذ بعد تقلد أرئيل شارون رئاسة الحكومة في آذار ٢٠٠١ تحول الانقسام الحزبي -السياسي داخل إسرائيل من انقسام بين معسكر حزب العمل كممثل لـ «اليسار» الداعم للتسوية وحزب الليكود كممثل لليمين الرافض لها، إلى صراع داخل معسكر اليمين الذي انقسم بين تيار يميني «دولاتي» وآخر عقائدي دوغماتي. انطلق اليمين «الدولاتي» بزعامة شارون من الموازنة بين النجاعة العسكرية ومتطلبات الأمن وفكرة الاستيطان، واعتبر على غرار اليمين العقائدي أن القوة هي أداة التفاهم الوحيدة مع الفلسطينيين، لكنه على خلافهم تبنى ومن منطلقات أمنية فكرة إعادة التموضع من أجل مواجهة «الفلسطيني»، في مقابله انتصب تيار يميني متشدد يرفض أي خطوة تنطوي على أي انسحاب من أي شبر من الأراضي المحتلة.

في هذا السياق، شكلت خطة فك الارتباط التي طرحها شارون الذي يعتبر - وبشكل متناقض - «الأب الروحي للاستيطان» لحظة مؤسسة في تصليب اليمين العقائدي الذي اتهم شارون ومن ناصره من الليكود بأنه تراجع عن مواقفه القديمة من الاستيطان. وصرح رئيس كتلة

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

تشكل لحظة تشكيل نتنياهو حكومته الثانية لحظة تتويج صعود اليمين الجديد واستكمال انزياح الحقل السياسي الإسرائيلي نحو اليمين الشعبوي المتمادي. انتقل اليمين الجديد على أثرها إلى العمل بشكل متسارع للدفع بمشروعه لبناء هيمنة جديدة تتمحور حول إعادة صياغة مفاهيم الهوية القومية وأرض إسرائيل والصراع، وتقاطعت هذه المرحلة مع تصاعد قوة اليمين الجديد عالميًا وتفاعلت معه.

المفدال في حينه، عضو الكنيست شاؤول يهلوم: «لقد مرّ شارون تحورًا ليصبح رجل يسار لذلك عليه أن يخلي مكانه من الناحية الأيديولوجية والأخلاقية».[14] صوتت الكنيست على خطة فك الارتباط في ٢٦ تشرين الأول ٢٠٠٤ بعد صراعات محتدمة في حزب الليكود، وتم تمريرها بأغلبية ٦٧ مؤيدًا مقابل ٤٥ معارضًا. ومن بين ٤٠ عضو كنيست من الليكود في حينه، التي شملت أيضًا «إسرائيل بعليا»، صوت ١٧ عضوًا ضد خطة فك الارتباط فيما صوت ٢٣ مع الخطة. كما أن ١٤ من الـ ٢٣ عضو الذين صوتوا مع الخطة انفصلوا بعد عام عن حزب الليكود وانضموا إلى حزب كاديما الذي أعلن عن تأسيسه أرئيل شارون في ٢٠٠٥، فيما بقي في الليكود ١٦ عضوًا هم النواة الصلبة العقائدية التي أطلق عليها في حينه المتمردون ممن سيقودهم بنيامين نتنياهو حتى عودة الحزب للحكم في ٢٠٠٩.

مع دخول شارون في غيبوبة وإجراء انتخابات برلمانية، نجح حزب كاديما برئاسة أيهود أولمرت في إقامة ائتلاف حكومي مع حزب العمل وإسرائيل بيتنا وشاس وحزب المتقاعدين استمر حتى ٢٠٠٩، بعدها دخلت كاديما التي فشلت برئاسة تسيبي ليفني في تشكيل ائتلاف حكومي في مسار أفول متسارع انتهى إلى تفكك الحزب، بالمقابل نجح تيار «المتمردون العقائدي» بزعامة بنيامين نتنياهو في العودة إلى تصدر المشهد السياسي، حيث شكل نتنياهو حكومته الثانية وافتتح بذلك عهد تصدر أقصى اليمين الحقلَ السياسي.

١,٣ تشكيل حكومة نتنياهو الثانية وتصدر أقصى اليمين الجديد الحقلَ السياسي

تشكل لحظة تشكيل نتنياهو حكومته الثانية لحظة تتويج صعود اليمين الجديد واستكمال انزياح الحقل السياسي الإسرائيلي نحو اليمين الشعبوي المتمادي. انتقل اليمين الجديد على أثرها إلى العمل بشكل متسارع للدفع بمشروعه لبناء هيمنة جديدة تتمحور حول إعادة صياغة مفاهيم الهوية القومية وأرض إسرائيل والصراع، وتقاطعت هذه المرحلة مع تصاعد قوة اليمين الجديد عالميًا وتفاعلت معه، وشكل هذا التفاعل حاضنة لتنفيذ مشروع اليمين الجديد الذي تسارع خلال العقد الثاني للقرن الواحد والعشرين في ظل حكومات نتنياهو المتتالية في سبيل تعميق مساعي نزع شرعية السردية الفلسطينية والعمل على حسم الصراع على أساس مشروع قومي يهودي فوقي من غير توازنات الليبرالية الصهيونية التي تفككت.

من جهتها، سعت جماعات متنوعة من ورثة المؤسسين لإعادة تنظيم وجودها السياسي كأحزاب وسط جديدة بعيدًا عن تقسيمات اليمين واليسار، وبالنظر إلى هوياتها الإثنية وتصوراتها يمكن ملاحظة أن ما يجمعها كونها من ورثة جيل المؤسسين الأشكنازي-علماني ليبرالي التي حاولت استعادة قوتها بعيدًا عن حزب العمل المنهار. من أهمها حزب «يوجد مستقبل» برئاسة يائير لابيد الذي أقيم في ٢٠١٢ الذي يطرح حل الدولتين لكنه يعمل جاهدًا لجذب اليمين «البراغماتي» عبر إطلاق حملته الانتخابية من جامعة أرئيل في اللحظة نفسها التي كان فيها اليمين الصهيوني الليبرالي يسعى لعرقلة الاعتراف بها بسبب موقعها في قلب الأراضي المحتلة ٦٧. ينطبق الأمر نفسه على تحالف أبيض أزرق وحزب «حوسين ليسرائيل» بزعامة بيني غانتس الذي يطرح نفسه كممثل للصوت العقلاني الدولاني ويعزز شرعيته عبر اجتذاب الجنرالات في صفوفه وإطلاق تسمية « ائتلاف المعسكر الدولاني» على تحالفه عشية الانتخابات في تشرين الثاني ٢٠٢٢. تتميز كل هذه التشكيلات بسعيها لإبعاد شبهة «اليسار» عنها، وتسويق صورتها كممثلة للوسطية والدولانية مقابل الشعبوية اليمينية. وتعكس صيرورة «إبعاد شبهة اليسار» والتموضع في الوسط ما يسميه

عودة نتنياهو على أكتاف الصهيونية الدينية.. مؤشر لتغيرات عميقة. (إ.ب.أ)

كاس مودي مَركَزة اليمين وخطابه (mainstreaming) في مقابل تحويل صفة «يسار» لتهمة وصفة ازدراء، ناهيك عن إعادة تأهيل اليمين المتطرف الذي يمثله بن غفير وإعادة احتوائه في الحقل السياسي الشرعي-قانوني وتطبيع التطرف في السياسة الإسرائيلية، آل ذلك إلى انتقال الخطاب السياسي في إسرائيل من معادلة «إسرائيل دولة يهودية-ديمقراطية» كما عبّر عنه قانون أساس «كرامة الإنسان وحريته» الذي صودق عليه في العام ١٩٩٢ إلى معادلة إسرائيل الدولة القومية للشعب اليهودي التي حوصلها قانون القومية في العام ٢٠١٧، الذي أسقط مركّب الديمقراطية من المعادلة.

٢. خارطة اليمين الجديد- شبكة علاقات متشعبة

ينشط اليمين الجديد عبر شبكة واسعة ومتشعبة من العلاقات والبنى وبمستويات متعددة رسمية وغير رسمية، ويمكن أن نشير إلى وجود أربع أذرع لشبكة اليمين: ١) الأحزاب ومؤسساتها، ٢) منظمات المجتمع المدني، ٣) المنظمات العنيفة، و٤) شبكة التمويل.

٢,١ الأحزاب البرلمانية

يشكل «حزب الليكود» رأس حربة اليمين الجديد في الحقل الحزبي، ذلك في ظل انزياحه المستمر إلى أقصى اليمين[١٥] وتحوله المثابر من حزب يميني قومي ذي جذور ليبرالية علمانية إلى حزب يميني قومي محافظ وشعبوي. تصطف إلى جانب الليكود سياسيًا مجموعة من الأحزاب اليمينية القومية والدينية والاستيطانية (التي تتباين في مدى شعبويتها وتطرفها وتسمياتها وفق التحالفات التي تتشكل بينها، وشملت: حزب يمينا (سابقًا)، وحزب البيت اليهودي (سابقًا) الذي يفترض أنه وريث المفدال التاريخي، وحزب تكوما برئاسة بتسلئيل سموتريتش الذي يمثل الشق الحردلي داخل الصهيونية الدينية وحزب نوعام بزعامة آفي ماعوز وحزب «عظمة يهودية»(عوتصما يهوديت) الذي يعد سليل حزب كاخ الكاهاني بزعامة إيتمار بن غفير، وحزب إسرائيل بيتنا بزعامة أفيغدور ليبرمان وحزب شاس الذي تحول خطابه تدريجيًا من خطاب قطاعي اجتماعي إثني نحو خطاب قومي يشدد على الهوية اليهودية ويضعها في مواجهة الهوية الإسرائيلية التي أصبحت شيفرة للصهيونية الأشكنازية اليسارية العلمانية. أظهرت شاس مواقف قومية متشددة قربتها باستمرار من اليمين المتشدد، مع ذلك يمكن القول إن ما يميز شاس أنها تحفظ مسافة معينة من التماهي المطلق مع اليمين العقائدي تمكنها أن تتصرف أحيانًا كيمين قومي متطرف، وفي أحيان أخرى تظل قادرة على أن تبدي براغماتية ووسطية سياسية بسبب كونها حزبًا قطاعيًا حريديًا.

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

٢,٢ منظمات المجتمع المدني

تشكل مجموعة من التنظيمات والمؤسسات اليمينية التي يطلق عليها أمل جمال المجتمع المدني السيء[١٦] «حاضنة اليمين الفكرية» و «خط إنتاج ثقافي» للهيمنة الجديدة التي يسعى لبنائها، حيث تمده بالقيم والأفكار والتبريرات الفلسفية والأكاديمية، وتزود المستوى الحزبي وأعضاء البرلمان بمسودات القوانين وأوراق السياسات ومشاريع وخطط العمل ويروِّج لها في الخطاب العام والإعلام والأكاديميا، ومن أهم هذه المراكز البحثية معهد شاليم (١٩٩٤)؛ «فوروم كوهيلت» (منتدى كوهيلت) (٢٠١٢)؛ ومعهد الإستراتيجية الصهيونية وجامعة أريئيل.

وقد أصدر منتدى كوهيلت منذ إقامته مئات الأوراق السياساتية حول وظيفة مستشار الحكومة القضائي، والحوكمة، وقانون القومية. ولا يقتصر عمل كوهيلت على العمل مع حزب واحد، بل ينشط بشكل أفقي في مواضيع مختلفة تمتد من الاستيطان حتى البيئة والأطفال والمرأة والقضاء ويهودية الدولة. وصاغ باحثون من كوهيلت خطة نير بركات التي تهدف إلى زيادة عدد المستوطنين في الضفة الغربية، كما رافقوا أيليت شاكيد خلال كونها وزيرة القضاء، ومثل أشخاص من قبلهم بنيامين نتنياهو أمام محكمة العدل العليا. يقوم منتدى كوهيلت بصياغة أوراق سياسات ويقدمها جاهزة لأعضاء الكنيست كما يصوغ مسودات القوانين، ويشارك أشخاص منه في النقاشات التي تتم في الكنيست، وينشطون في إقامة لوبيات لتبني قوانين محافظة. وبالقرب من منتدى كوهيلت يتواجد معهد الإستراتيجية الصهيونية الذي يعمل بدوره على إعطاء غطاء أيديولوجي فكري لسياسات حكومة اليمين المتطرفة.

وقاد منتدى كوهيلت ومعهد الإستراتيجية الصهيونية، بلورة قانون القومية، ورافقا عملية التعديلات، وعملا مع أعضاء الكنيست حتى سنه في العام ٢٠١٧. وبحسب موشيه كوبل رئيس منتدى كوهيلت فقد دمجت لجنة من معهد الإستراتيجية الصهيونية مشاريع قوانين مقترحة سبق وقدمت في مشروع واحد جديد ووضعته على أجندة التشريع في الكنيست في آب ٢٠١١ من خلال عضو الكنيست من الليكود آفي ديختر. ثم تم تقديمه للتشريع في العام ٢٠١٣ مرة أخرى من قِبَل أييلت شاكيد وياريف ليفين وروبرت إيلتوف. قد ظل القانون خاضعًا للتفاهمات والتوازنات الحزبية اليهودية حتى العام ٢٠١٨، العام الذي تم تشريع القانون فيه نهائيًا. كما يدعم الصندوق موقع ميدا الإعلامي الذي يروّج لقيم اليمين القومي والاستيطاني.

توازي هذه الجمعيات الفكرية منظّمات مجتمع مدني تنشط في حراسة تخوم «الجماعة القومية» وتحدد دائرة «الممنوع والمسموح فكريًا» من خلال تصنيف أفعال وكتبات كـ «خيانة»، «تواطؤ» وغيرها من مفاهيم نزع الشرعية، وتعتمد هذه الجمعيات على أدوات الملاحقة والمراقبة مثل «إم ترتسو» (تأسست عام ٢٠٠٦) وأكاديميا مونيتور (٢٠١٠) وNGO monitor (٢٠٠١) جمعية ريغافيم (٢٠٠٦) وأخرى للدفاع عن نشطاء اليمين مثل حونونو (٢٠٠١)، وبتسلمو للدفاع عن حقوق الإنسان اليهودي.

على مستوى الملاحقة، تنشط شبكة من الجمعيات التي تتصيد المثقفين والأكاديميين والجمعيات التي تعتبر «يسارية» أو «نقدية» و «ما بعد صهيونية» ومنظمات حقوق الإنسان وتعمل على نزع الشرعية عنهم. من أهم هذه الجمعيات «إم ترتسو» التي تعتبر أهم منظمات الملاحقة في داخل إسرائيل، وتنشط بالأساس من خلال حملات دعم لنتنياهو من جهة وملاحقة اليساريين في المنظمات الاجتماعية والإعلام والجامعات والثقافة، حيث حرضوا ضد محاضرين، وشنوا حملة ضخمة ضد صندوق إسرائيل الجديد، وفي ٢٠١٣ خلص قاضي المحكمة المركزية في القدس رفائيل يعقوبي إلى وجود علامات شبه بين حركة إم ترتسو والأفكار الفاشية. وإضافة إلى «إم ترتسو» تنشط في ملاحقة الأكاديميين بشكل خاص «أكاديميا مونيتور». وإلى جانب ذراع الملاحقة الداخلية تعمل ذراع ملاحقة دولية NGO monitor في مراقبة الفلسطينيين والجمعيات الفلسطينية وملاحقتهم. تكمن أهمية هذه الجمعيات في المكانة التي تحظى بها والمصداقية التي تعزى لتقاريرها من قبل الجهات الرسمية، وصولًا إلى اعتماد التطوع في إم ترتسو كجزء من ساعات التطوع الجامعية في الجامعة العبرية وجامعة بئر السبع ناهيك عن جمعة أرئيل الاستيطانية. وعلى الصعيد المقابل تعمل جمعيات يمينية كأذرع مراقبة ومتابعة قانونية من أجل «متابعة البناء الفلسطيني دون حصول على تصريح إسرائيلي في النقب وفي الأراضي المصنفة «ج». وتعبر عن اليمين الجديد وتروج له إعلاميًا صحيفة «يسرائيل هيوم» (٢٠٠٧)؛ «مكور ريشون» (١٩٩٧)؛ «مجلة هشيلوح» (٢٠١٦)، القناة ٢٠ (٢٠١٤)، موقع ميداه (٢٠١٢).

٢,٣ التنظيمات والحركات العنيفة

تنشط مجموعة من الحركات اليمينة المتطرفة التي تختلف درجات عنفها، من بينها نذكر «شبيبة التلال» التي تنشط كقوة استيطانية تتميز بسلوكيات البلطجة والترهيب ومهاجمة الفلسطينيين بشكل مكشوف، وحركة «تدفيع الثمن» وهي حركة إرهابية سرية تعمد إلى مهاجمة ممتلكات الفلسطينيين وتخريبها وتنشط في كل فلسطين، إضافة إلى حركات علنية تتسم بخطاب الكراهية والتحريض والبلطجة من بينها لهافا ولافاميليا التي تنظم هجمات على الفلسطينيين وتعتدي عليهم.

٢,٤ شبكة الممولين

يتم دعم مشاريع اليمين الجديد من قبل حيتان رأس المال المحافظ الأميركي اليهودي الذي يدعم أيضًا اليمين المحافظ في الولايات المتحدة مثل زلمان بيرنشطاين (Zalman Bernstein) الذي دعم صناديق ومشاريع ذات أجندات يمينية على رأسها صندوق «تكفا» وهو صندوق يهودي أميركي ذو رؤية يمينية محافظة هدفه «دعم» الصهيونية واقتصاد السوق الحرّ والقيم المحافظة إلى جانب حريات الفرد. كما يدعم الصندوق اليمين المحافظ في أميركا. يدعم صندوق تكفا في إسرائيل جمعيات اليمين التي تعمل في «الإنتاج الفكري» لليمين من خلال دعم مراكز صنع السياسات والخطاب العام، وأهمها «منتدى كوهيلت»، ومن بين مؤسسيه تسفي هاوز سكرتير حكومة نتنياهو سابقًا وعضو حزب أمل جديد برئاسة جدعون ساعر لاحقًا.

اعتبر رجل الأعمال شيلدون أديلسون (Sheldon Adelson) من أكثر داعمي اليمين الاستيطاني والقومي، ودعم أديلسون الذي ارتبط اسمه بقضايا الفساد التي اتهم بها نتنياهو حملة نتنياهو الانتخابية الأولى من خلال تمويل جمعيات داعمة، وأسس في العام ٢٠٠٧ صحيفة يسرائيل هيوم اليمينية المجانية التي أصبحت في ٢٠١٠ أكثر الصحف توزيعًا في إسرائيل، وتعتبر الصحيفة «بوق نتنياهو»، ورأس تحريرها منذ ٢٠١٧ حتى شباط ٢٠٢٢ بوعاز بيسموت حيث أقالته مريام أديلسون وريثة شيلدون أديلسون الذي دعم أيضًا إقامة كلية الطب في مستوطنة أرئيل ومشاريع أخرى استيطانية. وكان أديلسون من داعمي الحزب الجمهوري وثاني أكبر ممولين حملة ترامب بعد ترامب نفسه وداعمًا وممولًا للعديد من الجمهوريين الذين سبقوه، وتواصل أرملته مريام إكمال مسيرته.

يعتبر رجل الأعمال ايرفينغ موسكوفيتش (Irving Moskowitz) من أكثر الداعمين للمسار التهويدي من خلال دعم جمعيات اليمين الاستيطاني ونشاطاته منذ تسعينيات القرن الماضي، ويعتبر عراب الاستيطان في القدس، وكان من أهم الداعمين لجمعية عطيرت كوهنيم، في ٢٠٠٦ أسس صندوق موسكوفيتش واطلق جائزة صندوق موسكوفيتش للصهيونية لتكون موازية لجائزة إسرائيل، وأعطيت عادة لشخصيات من اليمين، وجاءت الجائزة التي خصص لها مبلغ ١٠٠ ألف دولار سنويًا كاحتجاج على منح جائزة إسرائيل للمؤرخ زئيف شترنهل على خلفية مواقفه المعارضة للاحتلال.

على خلاف منظمات اليسار التي تتلقى أموالها عادة من الدول المانحة ومصادرها إجمالًا مكشوفة وشفافة، فإن مصادر تمويل جمعيات اليمين غير واضحة. وأظهر تحقيق استقصائي لـ «السلام الآن» حول تسع جمعيات يمينية غير حكومية ومصادر تمويلها ومدى شفافيتها - إلى أن نسبة ضئيلة جدًا من بين إجمالي مدخولات الجمعيات التسع التي تم فحصها وهي (مجلس ييشع؛ منظمة ريغافيم الاستيطانية؛ جمعية إلعاد الاستيطانية؛ NGO Monitor؛ معهد الإستراتيجية الصهيونية؛ ميداه؛ إم ترتسو و«لجنة مستوطني السامرة») جرى تحويلها بصورة شفافة تتيح للجمهور الواسع الاطلاع عليها ومعرفة مصدرها الحقيقي، حيث أن الحديث يدور عن مئات ملايين الشواكل التي كان لها تأثير، ولا يزال، على صياغة السياسات والرأي العام في إسرائيل في مجالات حيوية وخلافية. كما يُشير التقرير إلى أن الجمعيات التي تم فحصها تتعمّد تقديم تقارير مالية سنوية تحول دون حصول الجمهور على صورة حقيقية عن أوضاعها المالية، وعن مصادر التمويل، حيث إن الجزء الأكبر من تمويل هذه الجمعيات سري، وغير مكشوف وغير شفاف. على سبيل المثال؛ بلغ إجمالي الأموال التي حصلت عليها الجمعيات التسع في الفترة الواقعة بين ٢٠٠٦ و٢٠١٣ نحو ٥٨٠,٨٨ مليون شيكل (٤٨٥,٨١ من التبرعات، و٩٥,٠٧ من المساهمات)، حيث يُشير التقرير إلى أن ٩٣,٧٪ من هذه التبرعات كانت سرية/ مخفية (٤٥٥,٢٦ مليون شيكل)، حيث بلغ المجموع الكلي من التبرعات الإسرائيلية التي تم التبليغ عنها في التقارير المالية ٤,٢٦ مليون شيكل، أي ما يُعادل ٠,٨٧٪ من إجمالي التبرعات ككل، كذلك الحال بالنسبة للمساهمات؛ حيث بلغ إجمالي المساهمات

تظهر متابعة خارطة علاقات اليمين الجديد ومصادر تمويل جمعياته وشخصياته ومشاريعه التشابك العضوي مع اليمين العالمي والمحافظ بشكل خاص في الولايات المتحدة، وتلقي هذه العلاقات الضوء على الحاضنة الأوسع التي ينمو اليمين الجديد الإسرائيلي بداخلها.

السرية/ المخفية ٨٠,٣٦ مليون شيكل (٨٤,٥٪ من إجمالي المساهمات). وأظهر تقرير لهآرتس حول مصادر تمويل جمعية العاد الاستيطانية إلى أن الجمعية تلقت خلال ثمانية أعوام مبلغ ٤٥٠ مليون شيكل، منها ٢٧٥ مليون شيكل جاءت من شركات مسجلة في «دول ملاجئ الضريبة» الموزعة في العالم، مثل جزر البهاما التي من غير الواضح من يقف وراءها.[١٧]

تظهر متابعة خارطة علاقات اليمين الجديد ومصادر تمويل جمعياته وشخصياته ومشاريعه التشابك العضوي مع اليمين العالمي والمحافظ بشكل خاص في الولايات المتحدة، وتلقي هذه العلاقات الضوء على الحاضنة الأوسع التي ينمو اليمين الجديد الإسرائيلي بداخلها.

٣. خطاب اليمين الجديد وخصائصه

تتشارك تيارات اليمين الجديد الإسرائيلي مثلها مثل تيارات أقصى اليمين العالمي الأيديولوجيا القومية الأصلانية التي تتخذ طابعًا استعماريًا متواشجًا مع: ١) تقديس أرض إسرائيل و«أصلنة» المستوطنين المهاجرين من خلال إعادة تأطيرهم بنزعة قومية (nativism) و٢) النزعة الشعبوية التي تنطوي على معاداة قيم الليبرالية والمساواة واعتبارها تهدد الهوية الجماعية ومصلحة الدولة، و٣) وتمجيد القوة وقيم الردع والنزعة السلطوية.

٣,١ الأصلانية القومية وتقديس أرض إسرائيل

تتخذ الأيديولوجيا الأصلانية القومية (nativism) في السياق الاستعماري الصهيوني معانيَ متعددة، وتنطوي على إسقاطات بعيدة المدى على حقوق الشعب الفلسطيني. تقوم الأيديولوجيا القومية الأصلانية بحسب كاس مودة على الدمج بين القومية الشوفينية من جهة وكراهية الأغراب من جهة أخرى. تنعكس هذه الأيديولوجيا في الحالة الإسرائيلية على شكل مشاعر ربوبية وتصرف معتنقيها على أساس كونهم «اسياد البلاد»، ويتم بناء على ذلك التعامل مع الفلسطينيين كغرباء ومارقين، وبالتالي اعتبار أي نشاط لقمعهم مبررًا. وتنطوي القومية الأصلانية في سياقها الاستعماري على عملية مزدوجة من أصلنة المستعمر وتغريب الأصلاني، وبناء حجة حصرية الحقوق القومية اليهودية في البلاد بناء على ذلك وضمن عملية قراءة انتقائية للأحداث وتحوير التاريخ وإعادة بنائه وسلسلته بما يتوافق ومشروع أرض إسرائيل.

في كتاب مكان بين الأمم تظهر عملية أصلنة المستعمر وتغريب الأصلاني بشكل نموذجي، حيث يقوم نتنياهو بقلب كل المفاهيم حول معنى أصلاني ومستعمر ويعيد سرد الرواية القومية اليهودية لتتوافق مع رؤيته، حيث يشبه هجرة اليهود وإقامة إسرائيل بأنها بمثابة إعادة تحرير للبلاد من الاحتلال الخارجي مثلها مثل تحرير البرتغال وإسبانيا من الوجود الإسلامي. «إن ما حققه الإسبان بعد ٨٠٠ سنة، حققه اليهود بعد ١٢٠٠ سنة، لكن المبدأ متشابه ....، عاد الإسبان واحتلوا إسبانيا بالنار والدم، في حين قام اليهود بذلك عن طريق الاستيطان المشروع حسب قوانين البلاد، وامتلكوا السلاح للدفاع عن النفس فقط».[١٨]

يدعي نتنياهو أن الفلسطينيين هم سلالات الغزاة العرب الذين احتلوا «أرض إسرائيل» ويتحملون المسؤولية عن نفي اليهود وتدمير الوجود اليهودي، وأن العرب عاثوا خرابًا في البلاد وحولوها إلى أرض قاحلة قبل أن يبدأ اليهود في العودة من منافيهم ويزهروا الصحراء. يشرح نتنياهو[١٩] كيف أُقتلع اليهود أخيرًا من «أرض إسرائيل»:

> بشكل عام، لا نلقي بالتهمة على الرومانيين فقط، فالاعتقاد السائد هو أن الرومانيين هم الذين أنهوا السيادة اليهودية، وسلبوا الأرض من أيدي اليهود، وطردوهم منها إلى الشتات، الذي استمر حتى يومنا هذا. غير أن هذا الاعتقاد ليس صحيحًا، فخراب بيت المقدس على أيدي الرومانيين في العام ٧٠م، كان حدثًا كبيرًا فعلًا في تاريخ اليهود على «أرض إسرائيل»، لكن ليس هو الحدث الذي أدى إلى تصفية السكان اليهود،

في هـذه البـلاد... ومـن الخطـأ أيضـا القـول إن الرومانيـين هـم مـن أنهـوا الحيـاة القوميـة اليهوديـة عـلى «أرض إسرائيـل» فقـد حـدث هـذا الأمـر بعـد مئـات السـنين مـن الاحتـلال..إن بدايـة خـراب الوجـود اليهـودي هـي ٦٢٦ مـع دخـول القـوات الإسـلامية إلى فلسـطين، حيـث انتهـج «المحتلـون الإسـماعيليون» سياسـات تدميريـة للوجـود اليهـودي.. لقـد طبـق الاسـتيطان العربـي المسـلح (القـرن السـابع)، عـن طريـق مصـادرة الأراضي والبيـوت والقـوى العاملـة. ونجحـت هـذه السياسـة في تحقيـق مـا لـم تنجـح فيـه مـن قبـل، أي دولـة عظمـى في البـلاد، اقتـلاع الفـلاح اليهـودي مـن أرضـه. ومـن هنـا، نجـد أن اليهـود لـم يسـلبوا العـرب أرضهـم، إنمـا العـرب هـم الذيـن سـلبوا أرض اليهـود.[٢٠]

يؤكـد اليمـين الجديـد أن السـكان الفلسـطينيين قبـل قـدوم الصهيونيـة كانـوا إمـا بـدوًا رحـلاً أو مهاجريـن مـن الـدول العربيـة. مثـلًا، في كتـاب «نكبـة خرطـة» الـذي أصدرتـه منظمـة «إم ترتسـو» مـن أجـل نقـض السرديـة الفلسـطينية حـول النكبـة يذكـر الكتـاب أن: «جـزءًا كبـيرًا مـن السـكان العـرب الذيـن يدعـون أنهـم عاشـوا في إسرائيـل مئـات وآلاف السـنين هـم فعليًـا مهاجـرون جـدد». ويحاجـج الكتـاب أنـه بالإمـكان التوصـل لخلاصـة عـن «أصـل أهـل البـلاد مـن أسـماء العائـلات المعروفـة والمنتـشرة بـين الفلسـطينيين التـي لا تبقـي مجـالًا للشـك: المـصري مـن مـصر، الحورانـي مـن سـورية، العراقـي مـن العـراق، الصورانـي مـن صـور، الصيـداوي مـن صيـدا، الطرابلـسي مـن طرابلـس، الفيومـي مـن فيـوم مصر...إلـخ».[٢١]

مقابـل تغريـب الفلسـطيني فـإن اليهـودي يمتلـك حقًـا أصلانيًـا فـوق تاريخـي ولا تقـادم عليـه في «أرض إسرائيـل» كمـا يكتـب نتنياهـو:

إن أي فـترة زمنيـة، طالـت أم قـصرت، يجـب أن لا تلغـي حـق شـعب في أرضـه، إن الحـق سـاري المفعـول، مـن الناحيـة التاريخيـة، ولا يلغـى إلا إذا اختفـى المطالبـون به...وعـلى هـذا الصعيـد يختلـف اليهـود في حقيقـة الأمـر عـن أي شـعب آخـر في التاريـخ: عـلى الرغـم مـن بقائهـم في الشـتات مـدة تزيـد عـن ألـف سـنة، فقـد رفضـوا الاختفـاء».[٢٢]

بالطبـع لا يشـكل ادعـاء كـون الفلسـطينيين غربـاء وعـدم أصلانيتهـم اختراعًـا يمينيًـا، بـل دائمًـا وأبـدًا شـكل أحـد مصـادر التبريـر الصهيونـي لاسـتعمار فلسـطين، لكـن أهميتـه وإعـادة التأكيـد عليـه تأتـي ضمـن مـشروع إعـادة الهيبـة للسرديـة الصهيونيـة بعدمـا تفككـت وتهـاوت في ظـل الأبحـاث المختلفـة بمـا فيهـا تلـك التـي صـدرت مـن قبـل مـا يسـمى المؤرخـون الجـدد وتيـار مـا بعـد الصهيونيـة الـذي تتهمـه الحركـة بكراهيـة الـذات والعمـل عـلى تدمـير الدولـة.

تتخـذ القوميـة الأصلانيـة معانـيَ دينيـة عميقـة في خطـاب الصهيونيـة الاسـتيطانية التـي تؤسـس رؤاهـا وتصوراتهـا عـلى تفاسـير قوميـة دينيـة، وتعتـبر أن فلسـطين هـي أرض الميعـاد التوراتيـة التـي أورثهـا لهـم الـرب مـن الأغـراب ويعتـبر احتـلال البـلاد وتحريرهـا مـن يـد الأغـراب الذيـن يأتـون اليـوم عـلى صـورة الفلسـطيني فريضـة دينيـة.[٢٣] في المقابـل يعتـبر سـكان البـلاد ومقاومتهـم بمثابـة إشـارة ربانيـة وجـزءًا مـن الـدورة التاريخيـة التـي يلعبـون فيهـا دورًا مقـدرًا في سـيرورة تحقـق الخـلاص الإلهـي، ضمـن هـذه السـيرورة فـإن الجنـدي الإسرائيـلي يحـارب لتسريـع الخـلاص، والعربـي هـو العـدو الـذي عليـه محاربتـه مـن أجـل تسريعـه.

صـدرت عـن بعـض تيـارات الصهيونيـة الدينيـة المتطرفـة كتـب وتنظـيرات تؤسـس للتعامـل مـع الفلسـطينيين كجماعـة أقـل قيمـة، وفي هـذا السـياق نُـشر كتـاب تـوراة الملـك للحاخامـين إسـحق شـابيرا ويوسـف اليتسـور مـن مدرسـة «يوسـف مـا زال حـي» الدينيـة في يتسـهار عـام ٢٠٠٩، وفيـه وضعـوا تفسـيرهم لموقـف التـوراة والشّريعـة اليهوديّـة مـن «الأغيـار» («الغوييـم» بالعبريّـة) «الـذي ينبغـي للدّولـة اليهوديّـة، واليهـود التزامـه، والسّـير، وفقـه». وبنيـا موقفهمـا عـلى أسـاس تراتبيـة البـشر، حيـث يتصنـف اليهـود بأنهـم الأعـلى مرتبـة ووحدهـم الآدميّـون الحقيقيّـون، في حـين أنّ «الأغيـار» هـم في مرتبـةٍ أدنـى، وتقـترب مرتبتهـم كثـيرًا مـن منزلـة البهائـم.[٢٤] ومـن منطلـق الإيمـان المطلـق بـأن أرض إسرائيـل هـي أرض مقدسـة وملكيـة يهوديـة، فقـد كتـب المؤلفـان «في الحـرب عـلى مصـير أرض - إسرائيـل ينبغـي قتْـل الأغيـار. فالأغيـار الذيـن يطالبـون بهـذه البـلاد لأنفسـهم، يسـلبونها منّـا، وهـي إرث لنـا مـن آبائنـا».[٢٥]

واعتـبر الحاخـام اليعـازر كشـتيئيل في حديـث لـه مـع تلاميـذ المدرسـة الدينيـة التحضيريـة للجيـش في مسـتوطنة عيـلي التـي تعـد أحـد معاقـل الحردليـة أن محاربتهـم الفلسـطينيين جـزء مـن خطـة الخـلاص الربانـي:

«نحـن نحـارب لأننـا نريـد بنـاء الهيـكل. هـذا هدفنـا ... نحـن نحـارب لأننـا نريـد إعـادة الشـخينا[٢٦] إلى صهيـون. نريـد أن تظهـر التـوراة بكاملهـا. نحـن لا نريـد فقـط أن يكـون هـدوء عـلى الحـدود الجنوبية. نحـن نريـد أن يتبخـر الـشر كلـه كدخـان ويخبـو،

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

كـي يملـك الـرب، أن يتحقـق ملكـوت السـماء عـلى الأرض.»[٢٧]

ولا يرتبـط الخـلاص بالفلسـطيني ولا بممارسـته، لأن الخـلاص وتحقيقـه هـو فـرض إلهـي كمـا يوضـح الحاخـام كشـتيئيل: حـرب الاحتـلال واجبنـا حتـى في وقـت السـلم: حتـى لـو لـم يطلقـوا علينـا رصاصـة واحـدة. حتـى لـو أن أبنـاء قطـاع غـزة مـن غـير الإسرائيليـين كانـوا يقدمـون لنـا الـورد طـوال الوقـت، مـع رسـائل حـب ورسـومات قلـوب، كان علينـا أن نبـدأ الحـرب يـوم السـبت لاحتـلال كل الأرض. إذا كانـوا عـلى اسـتعداد لإعـادة الأرض لنـا. ليتفضلـوا. لكـن إذا لا، يجـب أن نحتـل.[٢٨] لذلـك فـإن الحديـث عـن تسـويات أو مشـاريع براغماتيـة اعتـبر مـن جهـة الفئـة الاسـتيطانية الصاعـدة خيانـة.

٣,٢ النزعة الشعبوية

تشـكل الشـعبوية أحـد مميـزات تيـارات اليمـين الجديـد الحزبيـة وعـلى رأسـها حـزب الليكـود الـذي تحـول تحـت زعامـة نتنياهـو إلى دفيئـة لتفريـخ السياسـيين الشـعبويين الذيـن اسـتخدموا الشـعبوية كأداة لصعـود السـلم الحزبـي (political mobilization). مـن أمثـال مـيري ريغيـف وأمـير أوحنـا ودافيـد إمسـالم وجلعـاد أردان وغيرهـم ممـن تحولـوا إلى علامـة تجاريـة خاصـة بالليكـود الشـعبوي. ينطلـق اليمـين الجديـد في إسرائيـل مـن ادعـاء أسـاسي أنـه هـو مـن يمثـل الشـعب اليهـودي الحقيقـي ووحـده يعـبر عـن تطلعاتـه وإرادتـه في مواجهـة اليسـار و «النخـب الفاسـدة» و»إسرائيـل الأولى» ومؤسسـات «الدولـة العميقـة « المتآمـرة مـن أجـل إفشـال حكـم الشـعب التـي عـبر عنهـا بنيامـين نتنياهـو في اليـوم الأول لبـدء محاكمتـه ٢٤,٥,٢٠٢٠ في تهـم رشـوة وفسـاد:[٢٩]

«هـذه محاولـة لإفشـال إرادة الشـعب، ومحاولـة للإطاحـة بـي وبمعسـكر اليمـين.. لقـد تضافـرت مصـادر في الشرطـة والنيابـة العامـة مـن أجـل فبركـة قضايـا سـخيفة ووهميـة ضـدي.. هـل هـذا حكـم القانـون.؟! هـل هـذه ديمقراطيـة ؟!...إنهـم يحاولـون تنفيـذ انقـلاب حكـم ضـد رغبـة الشـعب.»

يـرى اليمـين الجديـد أن هنـاك مؤامـرة بـين اليسـار والمؤسسـة العميقـة لإفشـال حكـم اليمـين ومصـادرة إرادة الشـعب. في هـذا الإطـار كتـب ارز تدمـر رئيـس حركـة إم ترتسـو اليمينيـة ومديـر حملـة نتنياهـو الانتخابيـة في العـام ٢٠١٩ كتابـه «لمـاذا تنتخـب اليمـين وتحصـل عـلى اليسـار؟»، وادعـى فيـه «أن اليمـين الـذي يتـم انتخابـه مـرة تلـو الأخـرى مـن قبـل الشـعب، غـير قـادر عـلى الحكـم بسـبب وجـود نخب سياسـية، اقتصاديـة، اجتماعيـة وقضائيـة تسـيطر فعليًـا عـلى أجهـزة الدولـة وتمنـع تحقيـق سياسـات الدولـة المنتخبـة»، وهـو مـا يعنـي أن النخـب غـير المنتخبـة (مؤسسـات الدولـة العميقـة) تعمـل عـلى عرقلـة إرادة الشـعب (المنتخـب بشـكل حـرّ).[٣٠]

أمـا غـادي طـاوب (Gadi Taub) أحـد أهـم منظـري اليمـين الجديـد فكتـب ضـد النخـب باعتبارهـا «نخبًـا ليبراليـة» مشـيرًا إلى أن هـذه النخـب تفضـل حقـوق الفـرد عـلى حقـوق المواطـن.[٣١] ويعتـبر اليمـين الجديـد أن اليسـار هـو مـن يحمـل اليـوم قيـم الليبراليـة مـن أجـل فـرض أجنداتـه السياسـية. ويسـتخدم اليمـين الجديـد لعبـة لغويـة للتحقـير عـبر اللعـب بالأحـرف بـين العبريـة والإنكليزيـة للفظـة سـمول-التي تعنـي بالعبريـة يسـار وsmall [٣٢]بالتـي تعنـي صغـير. وحـوّل اليمـين صفـة يسـاري إلى نعـت سـلبي وصفـة معيبـة وطنيًـا، وأصبح الهـروب مـن صفـة يسـاري يلاحـق الأحـزاب التـي تطـرح نفسـها لاسـتبدال نتنياهـو كمـا هـو حـال «أزرق أبيـض» ويوجـد مسـتقبل. مقابـل ذلـك يلصـق نتنياهـو عـلى كل مـن يعارضـه بأنـه يسـاري، وألصـق هـذه «التهمـة» بنفتـالي بينـت مـن اليمـين الاسـتيطاني، وأفيغـدور ليبرمـان بعـد أن انضـم إلى المعسـكر المعـارض لـه. واليسـاري مـن ناحيـة اليمـين وعـلى رأسـه نتنياهـو هـو صنـو الخانـع الجبـان الخائـف الـذي يتنـازل للفلسـطيني عـلى الرغـم مـن أن لا مجـال لحـل الـصراع معـه إلا بالقـوة.

وللتخلـص مـن مـوروث اليسـار، لخـص ياريـف ليفـين عضـو الكنيسـت الليكـودي في ٢٠١١ أهـداف حكومـة الليكـود باسـتهداف ثلاثـة معاقـل للسـيطرة عليهـا هـي، أولاً، المحكمـة العليـا التـي وصفهـا ليفـين بأنهـا «تيار يسـاري لنخبـة ضئيلة مـن حـي رحافيـا الأشـكنازي (في القـدس الغربيـة)، وليـس

الصهيونية الدينية.. الأداة تتجاوز صانعها. (وكالات)

فيها أي قاض ترعرع في مدن التطوير أو من المهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي أو أبناء الطوائف الشرقية أو صاحب خلفية قومية». وأضاف ليفين أن تشكيلة المحكمة (اليسارية) تنعكس في القرارات التي تتخذها، مشيرًا على سبيل المثال إلى قرار المحكمة في ما يعرف بقضية قعدان[٣٣] الذي قضى بإجبار الدولة على تخصيص أراض في كيبوتس كتسير لعائلة عربية. فالمبدأ الأساس للصهيونية هو خلاص الأرض وتهويد الجليل وأرض إسرائيل. لقد محت مجموعة من القضاة المبدأ الأساس للمجتمع اليهودي واتخذت قرارًا ما بعد صهيوني». ثانيًا، وسائل الإعلام التي وصفها بأنها «تمارس حرية التشهير والتحقير»؛ ثالثًا، منظمات المجتمع المدني اليسارية وأساسًا منظمات حقوق الإنسان التي قال إنها «تلحق أضرارًا فادحة بالسيادة الإسرائيلية».[٣٤] أما أفيشاي بن حاييم فصاغ الثنائية من خلال تمييزه بين «إسرائيل الأولى» (النخب المؤسسة والدولة العميقة التي تسيطر على الإعلام، الأكاديميا، القضاء ومؤسسات الدولة الأخرى) و«إسرائيل الثانية» (الشعب الحقيقي)، بحيث إن اليمين بزعامة نتنياهو يمثل إسرائيل الثانية التي تسعى إسرائيل الأولى إلى منعها من الحكم والتآمر عليها. إن سعي إسرائيل الأولى إلى إسقاط نتنياهو لا يمكن ان يُناقش بشكل جدي إذا لم نقم بمعالجة النقطة الممنوعة من النقاش (حسب ادعاء الشعبويين) وهي:

> نحن أمام مسعى يشكل جزءًا من قمع إسرائيل الثانية في المشاركة في اللعبة السياسية. نتنياهو هو المنتخب الديمقراطي لجمهور واسع صوته غير ممثل في وسائل الإعلام المركزية، ليس له تمثيل في الأكاديميا، في جهاز القضاء ومحكمة العدل العليا. من هنا فإن كل ما في الديمقراطية الإسرائيلية هو التصويت للتأثير على التمثيل السياسي. لكن محاولة أخذ ذلك منه ليس أقل من نهب.[٣٥]

في هذا السياق، يتم تحويل الدعم المطلق لنتنياهو أو ما يسمى بظاهرة البيبيزم إلى جزء من معركة الشعب الحقيقي لمواجهة النخب الفاسدة، ويتم ليّ الحقائق والمفاهيم لتناسب الطرح، إذ إن استخدام الهيمنة التي وضعها غرامشي لتحليل الحقل الإسرائيلي تصبح مجرد مناورة سطحية طالما لم يتم أخذ الفلسطينيين بعين الاعتبار ويتم إقصاؤهم عن التحليل وطالما اعتبر أن مواجهة الهيمنة هي بتعزيز أقصى اليمين القومي.

وتوازى التحريض على النخب والإعلام في عقد نتنياهو بإطلاق تغييرات في الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب الذي أصبح يشهد حضورًا متصاعدًا للخطاب اليميني الاستيطاني، وتلخص غيل شطاير[٣٦] في هذا السياق قيادة نتنياهو لثلاثة تحولات بنيوية أساسية هي أولًا- إدخال جهات إعلامية مرتبطة مع اليمين المحافظ، مثل صحيفة إسرائيل اليوم وقناة ٢٠ (قناة ١٤ لاحقًا) ثانيًا إدخال صحافيين من خلفيات مختلفة (يمينية استيطانية حريدية ودينية) إلى معقل الإعلام المأسس المركزي، وثالثًا الترويج لمقولة انعدام وجود إعلام مهني غير مؤدلج، وبالتالي اعتبار أي نقد سياسي نقدًا يستهدف حكم اليمين.[٣٧]

٣,٣ تمجيد القوة والنزعة السلطوية

منذ بدايتها، مجدت الصهيونية القوة الجسدية والبطولة، ودفعت نحو تشكيل يهودي جديد- «يهودي العضلات»،[٣٨] وهو يهودي حديث وعلماني تم تصويره كنقيض ليهودي المنفى الضعيف جسديًا والسلبي سياسيًا والغيبي فكريًا. وصاغ الأديب يوسف برديجيفسكي مقولته «يجب تفضيل أخلاق السيف على أخلاق الكتاب»،[٣٩] في إشارة إلى اليهود الأرثوذوكس الذين ارتكزت حياتهم على دراسة الكتاب المقدس. أما ماكس نورداو فطوّر مفهوم يهودي العضلات كنقيض لليهودي الرخو المنفي.[٤٠] واعتبرت الصهيونية أن بناء اليهودي الجديد يتم من خلال العودة للأرض والعمل الجسدي والاستيطان فيها وإحياء العلاقة معها، وأعادت إحياء شخصيات من التاريخ اليهودي وبناءها كنماذج محاربة بطولية تقتفي أثرهم، وحوّلت يهوشع بن نون إلى شخصية عسكرية قومية بطولية وحقيقية، وبنت من جديد صورة اليهودي المحارب على شاكلة بار كوخبا الذي قاد ثورة ضد الحكم الروماني، ونفخت الروح في قصص التمرد اليهودي، وأعادت بناء أسطورة مسادا باعتبارها تعبيرًا عن الروح الثورية اليهودية.

لفهم محورية القوة في السياق الصهيوني وإسقاطاتها من المهم التمييز بين تصور اليمين العلماني للقوة التي يبني عليها عقيدته العسكرية والأمنية وتصور الصهيونية الدينية للقوة باعتبارها انعكاسًا لإرادة ربانية. يمجد اليمين العلماني القوة باعتبارها أداة وحيدة وحصرية للتعامل مع الصراع ويضفي عليها صفات العظمة التي يستقيها من منظري الفكر القومي اليميني الغربي. في المقابل يقدس اليمين الاستيطاني القوة باعتبارها تعبيرًا عن إرادة ربانية ويضفي عليها بالتالي سحرًا طقوسيًا خاصًا بها.

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

فقد انبنى خطاب اليمين القومي التنقيحي العلماني حول تمجيد القوة ومهرها بمجازات الحرب والدم وبنيان اليهودي الجديد على الصلابة والجسارة والقسوة، وتحول الخطاب القيمي الذي أقامه مؤسسو اليمين الأوائل حول تمجيد القوة وأسطرتها إلى جزء من ثقافة اليمين بعد إقامة إسرائيل وانضفر بأيديولوجيا اليمين وبمرجعيته السياسية وعقيدته العسكرية ونزعته السلطوية. للوقف على محورية القوة نورد أدناه ثلاثة نماذج من الشعر اليميني القومي لقيادات مركزية في تيارات اليمين تظهر تمجيد القوة لأبراهام شتيرن مؤسس الليحي ويعقوب كوهن أحد مؤسسي حلف البلطجية وجابوتنسكي أب اليمين المؤسس.

في قصيدة **أيها المنتقم** لشتيرن، كتب:

اسمع، يا أيها المنتقمُ، صوت إلهك
يسحق رأسًا صلدًا بيد سامية
ولتَقر كلماته في قلبك:
قدّس أسلحة الحرب
...
يومًا بعد يوم
في مكوثك في منزلك
في مسيرك في حقول الخوف
في منامك وقيامك
قدِّس أسلحة الحرب.

ربط بعض الشعراء بين تمرد بار كوخبا والمشروع الصهيوني واعتبروا الأخير استمرارًا للأول، في ما مدّ جابوتنسكي خطًا مستقيمًا بين الأسطورة نفسها والحاضر وبين يودفات العتيقة التي تقول الرواية اليهودية أن متمردي بار كوخبا تحصنوا فيها في معركتهم مع الرومان ومعركة «تل حاي» التي أسطرها اليمين وحولها لنموذج للصمود والتضحية، وبحسبها رفض رفيق جابوتنسكي ترملبدور أن يترك موقعه العسكري وسقط وهو يدافع عنه متلفظًا بحسب جابوتنسكي «من الجيد أن نموت من أجل بلادنا».[٤١] وعلى الرغم من التشكيك بالرواية فإنها أسطرت الإقدام والجسارة والجرأة التي أرادت الصهيونية عامة واليمين التصحيحي الترويج لها.

توافقت هذه النظرة مع العقيدة الأساسية التي وضعها جابوتنسكي للتعامل مع الصراع مع سكان البلاد الفلسطينيين وطموحاتهم القومية ومقاومتهم في مقالته «الجدار الحديدي» التي وضعها عام ١٩٢٣ التي يستمد منها اليمين الجديد والقديم عقيدته المركزية حول القوة والردع والتعامل مع الفلسطينيين خاصة والعرب عامة. في هذا المقال حلل جابوتنسكي وشرح بداية لماذا لا يمكن التوصل لسلام مع سكان البلاد، ومن ثم طرح عقيدة الجدار الحديدي بوصفه الخيار الوحيد، وفيها أوضح أن مساعي التيارات الصهيونية للحصول على موافقة العرب على الدولة الصهيونية هي نوع من الوهم لأن العرب ككل سكان أصلانيين لا يمكن أن يقبلوا بطيب خاطر التنازل عن توقهم الوطني ولا عن بلادهم، وأشار إلى أن العرب لهم أيضًا تطلعاتهم القومية التي تتناقض مع التطلعات الصهيونية، وفي هذا السياق كتب جابوتنسكي:

> «استيطاننا إما أن يتوقف وإما أن يتواصل ضد رغبة السكان الأصليين، وبمقدوره أن يتواصل ويتطور بحماية قوة مدافعة مستقلة عن السكان المحليين- جدار حديدي لن يكون بمقدور السكان المحليين اختراقه».

اعتمد اليمين الجديد (والقديم) باستمرار خيار القوة واعتقدَ بالردع أداةً حصرية لخوض الصراع وتبنته الصهيونية المؤسِّسة وحوله بن غوريون إلى عقيدة أمنية قومية من دون أن الاعتراف بمنشئه كي لا يمنح - بحسب المحللين - اليمين التصحيحي نقاط قوة، لكنه على خلاف جابوتنسكي ظل يردد أمام الرأي العام رغبته بالسلام ورفض العرب لذلك.

يشكل الادعاء بأن العرب يفهمون فقط لغة القوة عامود خطاب اليمين تجاه العرب عامة والفلسطينيين خاصة، وعلى أساسه يسند منظوره حول كيفية إخضاعهم لمشروع الصهيونية بتجلياته الاستعمارية والاستيطانية اللاحقة. يشكل هذا الادعاء الخط الواصل الذي يربط بين عقيدة الجدار الحديدي لجابوتنسكي والتوجه اليميني الجديد الذي يجدل خطابه حول الردع والقمع والعقاب والاخضاع، إذ إن العرب لا يفهمون أي شيء آخر، وإن أي مساعٍ لحل الصراع معهم مثلًا بطرق السلام أو المحادثات هي ذر رماد في العيون.

في أعقاب اندلاع الانتفاضة الثانية على إثر فشل محادثات كامب ديفيد، كتبت ليمور لفنات من الليكود «هناك وهم خاطئ أن الدعوة إلى السلام والتنازل عن الحقوق القومية الصهيونية كافية لوضع حدّ للصراع العربي الإسرائيلي»، وتستطرد موضحة: «آن الأوان لإسرائيل أن تعيد بناء الجدار الحديدي الذي سيدفع بالعرب مرة أخرى إلى الاستنتاج أن لا التهديدات العسكرية ولا الإرهاب من شأنهما أن يضعفا عزيمة إسرائيل لصيانة حقوق

يشير إيال خوبرز المتخصص بدراسات الشعبوية وفكر اليمين أن بنيامين نتنياهو أقام نظامًا ذا مميزات سلطوية، وأن إحدى الأدوات التي استخدمها في ذلك هو تسطيح الخطاب المعياري للديمقراطية إلى حدّه الأدنى واستبداله بخطاب القوة الذي تحول إلى جوهر الفعل السياسي، ومكونه الأعلى، وربط قوة الأمة بقوة القائد أي بقوته ووجوده، ضمن هذا السياق أصبح مصير إسرائيل ونتنياهو شأنًا واحدًا.

الشعب اليهودي».[٤٢]

عاد نتنياهو وكرر أكثر من مرة التزامه بعقيدة الجدار الحديدي، وفي خطاب له أمام مؤتمر جريدة مكور رشون اليمينية أوضح: الاقتصاد والمجتمع والابتكار، هذه هي الأسس التي أقودها لتقوية الاقتصاد والقوة الداخلية والخارجية لإسرائيل... إن الاستثمار في جميع مكونات قوة إسرائيل: العسكرية والاقتصادية والروحية. ...القوة العسكرية هي أحد المبادئ الأساسية لجدار جابوتنسكي الحديدي». وأوضح في ٢٠٠٦ معنى الجدار الحديدي:

> أمام الوضع القائم، على إسرائيل أن تضع جدارًا حديديًا أمام الفلسطينيين، جدارًا لا يظهر فيه أي شق لانسحاب أو تنازل، وبالتأكيد ليس مشاريع جديدة لفك الارتباط، جدار لا ينهار أمام الضغط الدولي أو التوترات الداخلية، جدار يكون بمثابة سور واقٍ قيميًا ودوليًا نضعه أمام رغبات حماس في إبادة إسرائيل».[٤٣]

بالاعتماد على منطق القوة والردع المتأصل في فكرة الجدار الحديدي يعتبر بنيامين نتنياهو أن السلام مع العرب ممكن فقط بعد هزمهم، وأن هذا السلام لا يتحقق إلا بالردع والقوة، وبحسبه «السلام في الشرق الأوسط، يعني السلام الذي يتحقق عن طريق الردع، أو القوة».[٤٤]

من جهته، بنى أفيغدور ليبرمان حملته الانتخابية عام ٢٠٠٩ على شعار «ليبرمان يفهم العربية» في إحالة إلى أن ليبرمان يفهم كيف يتعامل مع العرب بلغتهم التي يفهمونها، وبحسبه «في الشرق الوسط يجب أن تتصرف كما في الشرق الأوسط وليس كما في الاتحاد الأوروبي». والقوة من ناحية نتنياهو وحدها الأداة التي يمكن من خلالها وعبرها التفاوض مع العدو بعد هزمه، وهي أداته لإقامة التحالفات كما جاء في كتابه مكان بين الأمم:

> «القوة هي حجر الزاوية لكل جهد يستهدف كسب حلفاء جدد، والمحافظة على تحالفات قائمة. (...). يجب على الشعب اليهودي أن يرفض بشدة الادعاء العقيم، الذي يردده اليسار الإسرائيلي، وهو أنه إذا تنازلت إسرائيل عن أجزاء ذات أهمية في جدارها الواقي، فإنها ستكسب قوة أخلاقية تُكسبها تأييدًا مستمرًا من جانب الدول الكبرى في العالم. إذ إن الضعف لا يكسب شيئًا».[٤٥]

يشير إيال خوبرز المتخصص بدراسات الشعبوية وفكر اليمين أن بنيامين نتنياهو «أقام نظامًا ذا مميزات سلطوية، وأن إحدى الأدوات التي استخدمها في ذلك هو تسطيح الخطاب المعياري للديمقراطية إلى حدّه الأدنى واستبداله بخطاب القوة الذي تحول إلى جوهر الفعل السياسي، ومكونه الأعلى، وربط قوة الأمة بقوة القائد أي بقوته ووجوده، ضمن هذا السياق أصبح مصير إسرائيل ونتنياهو شأنًا واحدًا: لم تكن إسرائيل أقوى مما هي عليه الآن، لا اقتصاديًا ولا أمنيًا ولا دوليًا، هذه ليست صدفة بل لأنني أقود الدولة بطريق القوة».[٤٦]

بالطبع لا يقتصر خطاب القوة والردع على اليمين في إسرائيل، بل هو كما أشرنا أعلاه في جوهر العقيدة الإسرائيلية والعامود الفقري لمنظومتها العسكرية، ينعكس ذلك في تبني لغة القوة والردع والمباهاة بالصفات العسكرية من قبل بقية الأحزاب التي أقيمت لاستبدال نتنياهو، كما عبر عنها بني غانتس في مجموعة الفيديوهات (عددها أربعة) التي افتتح بها الحملة الانتخابية لحزبه (حوسين ليسرائيل) في كانون الثاني ٢٠١٩ تحت عنوان «القوي فقط ينتصر»، ووقف فيها على خلفية صور الحرب والخراب من غزة، مشيرًا إلى أنه حين كان قائدًا للجيش خلال الحرب على غزة في ٢٠١٤ أعاد بعض الأماكن في غزة للعصر الحجري. لكن الفارق أن غانتس يدعي أنه يطرح أفقًا سياسيًا إلى جانب القوة، وهو ما لا يدعيه اليمين الذي لا يرى غير طريق القوة لقمع الشعب الفلسطيني وإخضاعه، ويعتبرها أداة وحيدة لتحقيق أي شيء، لذلك فإنه أمام المقاومة الفلسطينية المستمرة عاد

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

ليستل من جعبته التهديد بنكبة جديدة.

من المثير أن اليمين لا ينكر النكبة بالضرورة، وتوجد بين صفوفه أصوات تعترف بالنكبة بشكل مباشر مرة ومبطن مرة أخرى، ليس لتحمل المسؤولية بالطبع، بل التهديد بها والتلويح بإمكانية إعادتها. وكتب في هذ السياق الصحافي اليميني كالمان ليبسكيند في «معاريف» تحت عنوان النكبة سبب للفرح:[٤٧]

> توجد هنا ادعاءات قد تجذرت خلال السنوات في خطابنا، بموجبها أن «النكبة» هي مسألة حزينة، ويجب أن يتوجه الجدل الإسرائيلي نحو السؤال: هل ولأي حدّ يجب علينا نحن اليهود أن نحتوي ألم من يتألم والمشاركة في حزن من يشعر بالحزن؟ لذلك تعالوا نرتب الصورة. ما يسميه العرب «نكبة» ليس إلا حدثًا مفرحًا. نعم هكذا بالضبط. ليس فقط لأنه في ختام هذا الحدث وقفت دولة إسرائيل على قدميها، بل بما لا يقل عن ذلك لأن الرسالة التي تلقاها العرب هي أن هذا سوف يكون عقاب كل من يحاول أن يقتلنا أو يمحونا عن الخارطة.

في المقابل، ومن ناحية التيار الصهيوني الرسمي، النكبة مجرد كذبة، فهي لم تحدث، والعرب هربوا لأن الدول العربية أمرتهم بذلك وبالتالي عليها أن تتحمل مسؤولية ذلك، من ناحية اليمين الجديد النكبة حدثت وإن كررتم المشاغبة سنقوم بها ثانية! وتتخذ القوة في التيار الصهيوني الديني بعدًا إضافيًا، إذ إن احتلال الأرض هو فرض رباني، وبالتالي فهي ليست فقط اللغة الوحيدة التي يفهمها الفلسطيني والعربي، بل تحمل أيضًا ظلال المقدس وسحره، وتتوسع معانيها من مجرد أداة للقمع وفرض الوقائع إلى أداة لتحقيق رغبة الرب والدفاع عن اسمه.

كما أن الحاخام أفيشاي رونتسكي الذي شغل منصب الحاخام العسكري الرئيس للجيش بين ٢٠٠٦-٢٠١٠ صرح: «دعه يعرف أنه [المحارب] سيخوض الحرب لمنح شعب إسرائيل الفرصة لتحقيق مُثله العليا، ومُثُله هي الرب. لإظهار المثل الإلهية للتوراة، قيم التوراة، هذه هي الأخلاق والعدالة والصدق وما إلى ذلك ... في واقع العالم». وفي عهد اليمين الجديد تشابكت وانصهرت معًا التنظيرات التي تتمحور حول القوة والعظمة والبأس في الخطاب القومي مع التنظير الديني حول قداسة الاحتلال والقوة وتحويل الجيش إلى وسيلة تحقيق إرادة ربانية وفرض إلهي، وانتجت حقلًا خطابيًا متمحورًا حول القوة بوصفها أداة وجوهرًا معًا.

مع تبني القوة والقمع والردع وظلالها كأداة وحيدة تحول الحقل التشريعي والقانوني إلى حقل للعمل على ترسيخ البنية الفوقية وتشديد الحصار على الفلسطينيين وترسيخ أدوات القمع، وتظهر النظرة السريعة في هذا الإطار أن اليمين الإسرائيلي الجديد في عهد نتنياهو سجل نشاطًا غير مسبوق في وضع القوانين التي تستهدف الفلسطينيين وتمعن في العقاب، كما تصاعد طرح القوانين التي تميز بشكل واضح ضد الفلسطينيين وتقلص مساحات الحريات.

في العام ٢٠١١، تم سن قانون لجان القبول الذي يعطي القرى اليهودية الحق بأن ترفض قبول عرب للسكن فيها، وسن قانون تجريم المقاطعة الذي هدف منع مقاطعة الأعمال التي في المستوطنات، وفي العام نفسه تم سن قانون النكبة الذي يمكن وزير المالية من المس بميزانيات الجمعيات التي تقيم فعاليات يوم النكبة أو تمس بالطابع اليهودي للدولة.[٤٨] وتم طرح قوانين مراقبة التمويل الأجنبي بهدف تجفيف دعم الجمعيات الحقوقية اليسارية عبر التضييق عليها. وفي الفترة الممتدة بين ٧ أيار ٢٠١٥ وحتى ١ كانون الثاني ٢٠١٩ أقرت الكنيست ٣٥ قانونًا لها طابع معادٍ للفلسطينيين وداعم للاستيطان، مقارنة مثلًا بستة قوانين في فترة حكومة أولمرت، وهو ما يشكل زيادة بنسبة ٥٨٣٪، من بينها قانون أساس القومية وقانون التسوية، اللذان هدفا إلى تحصين الفوقية اليهودية وتعزيز خطط الضم ودعم الاستيطان.

٤. مشروع اليمين الجديد-بناء هيمنة جديدة

تعرف الهيمنة بأنها سيطرة مجموعة سكانية على غيرها من المجموعات السكانية. وبحسب أنطونيو غرامشي فإن هيمنة جماعة على غيرها تعني تحويل قيمها وأفكارها إلى قيم باقي المجموعات. وتتناقض الهيمنة التي تستند إلى القبول وتذويت النظام القائم باعتباره النظام الطبيعي مع السيطرة التي تستند إلى فرض الأفكار بالقوة كما في أنظمة الاستبداد. ويلعب المثقفون دورًا محوريًا في بناء الهيمنة وتشكيلها كوحدة أخلاقية وفكرية متناسقة، من خلال بلورة الأفكار ونشر قيم الجماعة المسيطرة وصياغة تصوراتها عن النظام الاجتماعي «الصحيح»، وتعتمد الهيمنة على طمس الحدود بين المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وهو ما يخلق

بحسب باروخ كيمرلينغ قدرة ثقافية احتكارية في تعريف الهوية القومية والذاكرة الجماعية، أو تشكل من جديد وفق المصالح الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإثنية للجماعة المسيطرة.[٤٩]

وبحسب كيمرلينغ شكل في ظل حزب مباي مفهوم الملختيوت الدولاتية (mamlakhteyout) منظومة هيمنة أقامها حزب مباي لفرض تصوراته الفكرية والأيديولوجية على باقي الجماعات. وكان بن غوريون سك مفهوم الملختيوت «الدولاتية» كشيفرة لمنظومة السيطرة التي وضع أسسها مع إقامة إسرائيل وتقضي بنقل ثقل القرارات المرتبطة بإدارة الدولة وتحديد شكلها وجوهرها وأدوار أجهزتها من المؤسسات والمنظمات الحزبية التي سيطر عليها «مباي» مثل «الهستدروت» والوكالة اليهودية، وشكلت شبكة إدارية متكاملة للمجتمع الاستعماري اليهودي في فترة الانتداب، إلى مؤسسات الدولة سواء المحاكم أو أجهزة العنف من جيش وشرطة وغيرها، لكن الدولانية لم تكن سياسة محايدة كما روج لها، بل شُكلت على صورة من يسميهم باروخ كيمرلينغ «الأحوساليم» التي تختصر أسماء المكونات: «أشكناز وعلمانيون، وقدامى، واشتراكيون، وقوميون/ صهيونيون»، وهي ما يقابل في المفهوم الأميركي جماعة الـ (WASPs: White Anglo-Saxon Protestants) في إشارة إلى الصفوة البيضاء المتنفذة في الولايات المتحدة.[٥٠] استمرت هيمنة الأحوساليم هذه حتى ١٩٧٧ حين نجح مناحيم بيغن بخلخلة هيمنتها بعد إقامة تحالف مع الشرقيين، وإنهاء عقود حكم مباي التي دخلت بعدها مرحلة من التخبط ثم التراجع المتواصل في أعقاب اغتيال إسحق رابين وصولًا إلى أفول قوتها وتحولها لحزب هامشي.

على الرغم من تفكك هيمنة المؤسسين وأفول قوة الاشتراكية الصهيونية التي تصدرتها، فلم تنجح كتلة بعينها في تشكيل هيمنة جديدة، يأتي ذلك على خلفية التشكيلة الفسيفسائية والمتصدعة للمجتمع والنزاعات على السيطرة فيما بين مكوناتها. ولخص رئيس إسرائيل السابق رؤوفين ريفلين الانتقال من التجانس الإثني إلى التعدد في «خطاب الأسباط» الذي ألقاه في العام ٢٠١٥ في مؤتمر هرتسيليا[٥١] حين أشار إلى أنه لم يعد هناك أغلبية في إسرائيل، بل أربعة «أسباط»، يحمل كل منها وجهة نظر مغايرة تمامًا عن الأخرى حول النظام الاجتماعي والسياسي، ولا يلتقون في أي تجربة «مشتركة»، ويتعلّمون في مدارس منفصلة ووفق مناهج مغايرة. تنعكس هذه

اليمين في الشارع.. يواصل نزع الشرعية عن «الأقلية اليسارية». (إ.ب.أ)

الصورة في ديمغرافيا الصفوف الأولى في المدارس الابتدائية، وبحسب معطيات مركز البحث والمعلومات التابع للكنيست حول التوزيع الديمغرافي للطلاب في ٢٠١٩/٢٠١٨، فقد كان ٢٠,٣ ٪ من تلاميذ الصف الأول في المدارس حريديين، مقابل ١٤,٥٪ في ٢٠٠٠، وشكّل التلاميذ العرب ٢٢,٩٪ من المجموع الكلّي، فيما درس ١٥,٣٪ في المدارس الدينية القومية و٤١,٥ ٪ في المدارس الرسمية العلمانية.[٥٢] مقابل هذا التقسيم، فإن المجموعة العلمانية تنقسم بدورها بين يمين ويسار ووسط، وفيما يصوت الحريديون بشكل شبه كامل لأحزابهم، يصوت المتدينون القوميون لأحزاب الاستيطان والليكود.

وسط هذا «الفراغ»، إن صح التعبير، والمتمثل في أفول هيمنة الأشكنازية المؤسسة وعدم قدرة أي كتلة أخرى على الصعود كبديل، يحاول اليمين الجديد بناء هيمنة جديدة وبديلة، وفق مفاهيم اليمين الجديد ورؤاه تتلخص في بلورة الهوية القومية على أسس يهودية محافظة بدل الإسرائيلية، وإعادة ضبط حدود أرض إسرائيل على أساس حدّ أقصى من السيطرة، وحصر الحقوق القومية باليهود. وفي هذا الإطار يحاجج نسيم كلدرون بأن اليمين الجديد نجح في العقد الأخير في القيام بثورة مخملية هادئة، انتهت فعليًا بسيطرته على الوعي العام وهندسته بما يوائم رؤيته القومية -الاستيطانية. وقاد هذه الثورة المخملية مثقفون وسياسيون وجمعيات ومؤسسات يمينية، بتمويل سخي من حيتان رأس مال يهود أميركيين محافظين.

عمل اليمين الجديد على تحقيق ثورته المخملية المدعومة من خلال العمل بمسارات متعددة ومتداخلة وشملت هذه المسارات: مسار فكري عبر المراكز البحثية والمواقع الإعلامية والصحف التي تروج لليمين (منتدى كوهيلت، معهد الإستراتيجية الصهيونية، معهد شليم، موقع ميدا، صحيفة يسرائيل هيوم)، ومسار عملي استيطاني على الأرض عبر المشاريع التهويدية (رجافيم، عطيرت كوهنيم، العاد، جمعية إياليم)، ومسار ملاحقة ينشط من خلال أدوات المراقبة والتشهير والملاحقة والتصيد بحق الأشخاص والجمعيات التي تنتقد ممارسات الاحتلال وتنتج خطابًا نقديًا. (إم ترتسو، NGO monitor, Academia monitor)

وقد سعى اليمين الجديد في العقد الأخير إلى إحداث مجموعة من التغيرات البنيوية التي هدفت من جهة إلى إحكام سيطرته على مفاصل الحكم وبناء هيمنة جديدة، طالت هذه التغييرات الجهاز القضائي والعلاقات مع أذرع الحكم ووضع رواية واحدة قومية من خلال ضبط خطاب المواطنة والموالاة والحقوق ويهودية الدولة بموازاة نزع شرعية الخطاب المعارض للاحتلال وتخوينه والعمل على تفكيك القضية الفلسطينية وإنهائها ومهاجمة النخب واعتبارها تعمل بطرق غير ديمقراطية على منع اليمين المنتخب من الحكم. في المقابل، عملت جماعات اليمين الجديد على تحويل الخطاب العنيف والمتطرف الذي كان هامشيًا في أقصى اليمين إلى جزء من الخطاب المقبول وهو ما وصل أقصاه مع «تبييض» حزب عوتصما يهوديت وريثة حزب كاخ الكاهاني.

ينضفر مشروع اليمين الجديد في التغيرات الداخلية إلى ١) تأسيس هوية يهودية مقابلة للهوية الإسرائيلية، ٢) إقامة تحالف بين الشرقيين واليمين والمتدينين من خلال بناء هوية جماعية تتأسس على الهوية اليهودية وقيم المحافظة وموضعتها كنقيض للهوية الإسرائيلية التي تتم مفهمتها كصنو للعلمانية اليسارية الليبرالية وممثلًا لإسرائيل الأولى التي شكلتها مباي. ٣) على المستوى القومي-استعماري يقوم مشروع اليمين على ضبط البنية القومية للدولة على أساس كونها دولة حصرية يهودية وفك الارتباط بين كونها يهودية وكونها ديمقراطية. ٤) وعلى المستوى الاستعماري-الجغرافي، إعادة هندسة المشروع الاستيطاني في الضفة الغربية على أساس حدّ أقصى من الضم وحدّ أدنى من الحقوق للفلسطينيين.

٤,١ الهوية القومية اليهودية بدل الإسرائيلية

في العام ١٩٩٦، وعشية الانتخابات الرئاسية التي تنافس فيها بنيامين نتنياهو مع شمعون بيريس بعد مقتل إسحق رابين، انتشرت في الشوارع والحيز العام ملصقات «نتنياهو جيد لليهود»، وقد تم وضع هذا الشعار بعد استطلاع أجراه مستشار نتنياهو الانتخابي آرثر فنكلشطاين وسأل فيه الإسرائيليين: كيف تعرفون أنفسكم إسرائيليين أم يهودًا أولًا؟ وقد نجح نتنياهو الذي أدار حملة شرسة توازى فيها شعار نتنياهو جيد لليهود وبيريس سيقسم القدس إلى الفوز في الانتخابات وقلب كل التوقعات. في العام ١٩٩٧، خلال زيارة نتنياهو للحاخام كادوري الذي ينحدر من أصول شرقية عراقية - ويعد أحد أكثر الحاخامات شعبية ومرجعية روحانية عليا في شاس، للاحتفاء بعيد ميلاده - التقطت الكاميرات التلفزيونية نتنياهو يهمس في أذن الحاخام: لقد نسي اليسار ماذا يعني أن تكون يهوديًا. إنهم يظنون أننا إذا أعطينا العرب جزءًا من البلاد فسيهتمون بنا».[٥٣]

وسط هذا «الفراغ»، إن صح التعبير، والمتمثل في أفول هيمنة الأشكنازية المؤسسة وعدم قدرة أي كتلة أخرى على الصعود كبديل، يحاول اليمين الجديد بناء هيمنة جديدة وبديلة، وفق مفاهيم اليمين الجديد ورؤاه تتلخص في بلورة الهوية القومية على أسس يهودية محافظة بدل الإسرائيلية، وإعادة ضبط حدود أرض إسرائيل على أساس حدّ أقصى من السيطرة، وحصر الحقوق القومية باليهود.

حملت كلمات نتنياهو رسائل عدة مهمة: أولًا أن اليمين واليهود واليهودية يقفون في جهة واحدة مقابل اليسار، وثانيًا نزع شرعية اليسار من خلال المساواة بين مطلب التسوية الإقليمية وعدم الولاء.[٥٤] وثالثًا إظهار العلاقة المميزة بين الشرقيين المحافظين والمتدينين الذين يحظى كادوري بشعبية ضخمة بينهم واليمين الذي «يحفظ» هويته اليهودية. يشكل التمحور في اليهودية من قبل اليمين الجديد تحولًا إضافيًا في الإبستمولوجيا الصهيونية المؤسسة باتجاه تدين الصهيونية. فقد بنت الصهيونية الأولى التي قادها هرتسل خطابها القومي الحداثي على أساس بناء «اليهودي الجديد» بوصفه نقيضًا لليهودي المنفوي الرخو والخانع والمكبل بتقاليد بالية، وفي هذا الإطار تم استحداث هوية «العبري» و«الصهيوني» كهويات مناقضة طلائعية ونشطة وفاعلة وحديثة، ولخص هرتسل الفارق بين يهود المنفى واليهودي الجديد على لسان دافيد لطفا ك بطله الذي تربى على الفكر الصهيوني وانتقل من الجيتو الفقير البائس في النمسا للعيش في الأرض «القديمة الجديدة» وبحسبه:

«في مجتمع المواطنين الذين يسعون إلى تحقيق الرضا الوظيفي، ويريدون تشكيل حياتهم الخاصة، سنكتفي بتنمية جسد قوي وصحي لشبابنا».[٥٥]

إن مهمة بيتار- كما يراها زئيف جابوتنسكي في كتيّب أيديولوجي حول أسس النظرة العالمية لحركة الشباب الصهيوني التنقيحية، هي خلق اليهودي الجديد الذي يحتاجه اليهود من أجل إقامة الدولة اليهودية بالسرعة الممكنة،[٥٦] وقد أضاف لذلك بعد خمس سنوات، عشية الحرب العالمية الثانية، «أن اليهود بحاجة لذلك أكثر من أي وقت مضى، وبإتقان وبسرعة»، حيث إن المسوغات التي أُقيمت من أجلها بيتار هي تحويل «شعب إسرائيل» من قطيع من العبيد الذين يتم ضربهم[٥٧] إلى مجنّدين لخدمة الفكرة الصهيونية الجديدة. من وجهة نظر جابوتنسكي؛ فإن إقامة الدولة اليهودية في «أرض إسرائيل» هي هدف الصهيونية، ولتحقيق ذلك؛ استبعد المصالح القطاعية والخاصة، استنادًا لنظرته المعروفة بـ «حاد نس»، إن رؤيته لليهودي الجديد نابعة من رؤيته لهدف الصهيونية، القاضية بأن يُصبح اليهودي الجديد مثاليًا، وأن يضع نفسه في خدمة الأمة اليهودية في أي وقت وأي مكان، وقد أطلق عليه «حلوتس- طليعي»- الذي قد يكون جنديًا أو عاملاً أو حرفيًا أو صناعيًا أو تاجرًا، وأن يكون مجنّدًا لإقامة الدولة اليهودية، لذلك، رأى جابوتنسكي أن مهمة بيتار- وليس مهمة الأحزاب السياسية- هي أن تبني وتخلق اليهودي الذي يحتاجه الشعب اليهودي.

سعى التوجه الصهيوني المركزي إلى القطع بين اليهودي الجديد والمنفوي الرخو، وضمن ذلك أيضًا تم استخدام تسمية «العبري» كترميز لليهودي الجديد المنبعث، فأطلق اسم «الفيلق العبري»، وسميت الجامعة الأولى بالجامعة العبرية، ومجلة « العبري الجديد» وأطلق على اسم المستعمرات اليهودية خلال الانتداب بوثيقة «الاستقلال» لإسرائيل اسم «الييشوف العبري» واستخدم «العبري» من قبل الحركة التصحيحية في تسمية حركة بيتار «رابطة الشبيبة العبرية على اسم يوسف ترومبلدور». كان العبري يعني اليهودي الجديد الصهيوني الذي قطع مع المنفى، ومع إقامة إسرائيل تحول الييشوف العبري/ المستعمرة العبرية إلى «دولة إسرائيل» وحل اليهودي الإسرائيلي محل اليهودي العبري، وتحولت الحمولات الرمزية للمفاهيم إلى جزء من مفاهيم الهيمنة التي انبنت وتشكلت من قبل جماعة «مباي» التي سيطرت على مفاتيح الييشوف /المستعمرة أولًا ثم الدولة ثانيًا. ترافق هذا التحول مع انتقال قيادة اليمين القومي التصحيحي من جابوتنسكي صاحب الفكر القومي الشوفيني والعلماني إلى مناحيم بيغن الذي شق تجربته في مواجهة حكم مباي بالأساس في ظل التحول الضخم في النسيج السكاني لمجتمع المهاجرين الذي تحول من نسيج أشكنازي علماني متجانس إلى مجتمع صدوع: بين شرقيين وأشكناز

في معرض مقارعته لحكم مباي أعاد بيغن التموضع أمام الواقع المتشكل الجديد، والمناورة على أساس «سياسات الهوية» وفي مركزها استعاد «اليهودي» لتجاوز «إسرائيلي مباي» بشكل سريالي.

وعلمانيين ومحافظين، ومتدينين، وبالطبع عرب، ويهود. في معرض مقارعته لحكم مباي أعاد بيغن التموضع أمام الواقع المتشكل الجديد، والمناورة على أساس «سياسات الهوية» وفي مركزها استعاد «اليهودي» لتجاوز «إسرائيلي مباي» بشكل سريالي.

التقط بيغن أثر خطاب «الشعب اليهودي» وما يحمله من صدى ديني وموروث ثقافي على الشرقيين لاستقطاب الصوت الشرقي على حساب حزب العمل بإطلاق لقب «التشحتشاحيم» على الشرقيين الذين يصوتون لحزب الليكود والحط من قيمتهم، وذلك في إشارة إلى لهجتهم الشرقية ولفظهم للأحرف الحلقية، واستغل مناحيم بيغن ذلك في الهجوم على حزب العمل والقول «عراقي، أشكنازي!! يهود، أخوة، محاربون».[٥٨] وفي الخطاب الذي قدم فيه حكومته الجديدة، بعد هزيمة حزب العمل بعد ٢٩ عامًا في السلطة، قال بيغن: «سنتبع اسم ربنا إلى الأبد ... أعلن أن حكومة إسرائيل لن تطلب من أي أمة ... الاعتراف بحقنا في الوجود ... لقد تلقينا هذا الحق من الله»..[٥٩]

وضع بيغن الرابط بين اليمين واليهودية بعد أن أعاد صياغة اليهودي كمحارب ومقاوم كما أشار إليه حديثه عن «رفاق التنظيم السري» لليحي الذي نشط فيه، لكن على الرغم من ذلك فإن الفارق بينه وبين نتنياهو مرتبط بالعلاقة التي أقامها كل منهما مع المركب الليبرالي وقيم المساواة وحقوق المواطن. إذ حاول اليمين التقليدي بزعامة بيغن عرض تميزه في الحقل السياسي عبر أيديولوجيا يمينية قومية ليبرالية على الأقل خطابيًا مقابل انسحاب اليمين الجديد من «المركب الليبرالي» باتجاه التوطن في الأيديولوجيا القومية اليهودية الصافية ونفض القيم الليبرالية وقيم المساواة عنها.

فقد رفض بيغن فرض الحكم العسكري على العرب وربَط حقوقهم الكاملة بخدمتهم بالجيش. ولخص في خطاب ألقاه في الكنيست في ٢٠ شباط ١٩٦٢ ضد الحكم العسكري إلى «أن وجود أنظمة الطوارئ يثير علامة استفهام حول حقوق الأساس لكل مواطن في إسرائيل»، ورفض اشتراط المساواة بالخدمة العسكرية «هناك من يقول إنه لا ينبغي أن يتمتع المواطنون العرب بحقوق متساوية كاملة، لأنهم لا يقومون بواجبات متساوية. هذا ادعاء غريب. قررنا عدم جعل الخدمة العسكرية إلزامية للمواطنين العرب. لكننا اتخذنا هذا القرار بحرية ... نعتقد أنه في الدولة اليهودية يجب أن يتمتع جميع المواطنين بحقوق متساوية، دون اختلافات في الدين أو الجنسية أو الأصل».[٦٠]

استندت معارضة بيغن التي كانت تستهدف معارضة مباي أكثر من كونها تستهدف دعم العرب من الناحية النظرية على الموروث الليبرالي لليمين كما عبر عنه جابوتنسكي في الانحياز لحقوق الفرد على حقوق الجماعة، في هذا الإطار كتب جابوتنسكي مثلًا «في البدء خلق الرب الفرد، كل فرد هو ملك»، «من الأفضل أن يخطئ الفرد تجاه الجمهور من أن يخطئ الجمهور تجاه الفرد، إذ إن المجتمع خلق من أجل مصلحة الفرد»، وتظهر هذه الاقتباسات تغليب حقوق الفرد على أي اعتبار آخر، وهذا الموقف كان مناقضًا مثلًا لموقف الأحزاب الاشتراكية كحزب مباي ومبام وغيرها ممن شددت على الحقوق الجماعية وأسبقية الالتزام بالجماعة سواء أكانت الطبقة أم الحزب أم الدولة على حق الفرد، تغير هذا الموقف الليبرالي الراديكالي تدريجيًا حيث عكس اليمين الجديد المعادلة ووضع مصلحة الجماعة القومية فوق المصلحة الفردية والخاصة، في هذا الإطار، أصبح أهم ما يميز اليمين الجديد تشديده على الهوية القومية والانتماء للجماعة التي تحولت إلى معبد مقدس يتحول الفرد من خلال التعبد فيه إلى مقدس أي أن قيمة الفرد تتأتى من الجماعة نفسها وليس العكس.

جاء الربط بين اليمين واليهودية مقابل اليسار والإسرائيلية الذي وضع أسسه بيغن وأصبح في محور خطاب اليمين الجديد على خلفية التغيرات الديمغرافية التي مرّ بها مجتمع المهاجرين بعد إقامة إسرائيل، وشكل أحد أهم أدوات بناء التحالف مع الشرقيين، وهو ما أتاح انقلاب العام ١٩٧٧ وانتهاء هيمنة جيل المؤسسين العلماني- الأشكنازي- العمالي[٦١] وتحول هذا الربط لاحقًا إلى أحد أهم محاور خطاب اليمين الذي يستخدمه الشرقيون

اليمين الجديد.. إعادة ضبط حدود «أرض إسرائيل» على أساس حدّ أقصى من السيطرة. (أ.ف.ب)

في الليكود للتدليل على الفارق بينهم وبين اليسار العلماني ويستخدمه علمانيو اليمين لاستقطاب الشرقيين المستمر.

٤,٢ قيم المحافظة بدل العلمانية

أفرزت التغيرات الديمغرافية تحولات عميقة اجتماعية مرتبطة بالعلاقة مع سؤال التدين والعلمانية، وانعكست بظهور فئة المحافظين (بالعبرية: الماسورتييم) التي تحولت تدريجيًا إلى صفة رديفة للشرقيين[٦٢] ممن لم يكن بالإمكان إعراب علاقتهم بالدين في إطار القوالب الأشكنازية الغربية الصارمة التي تضع العلمانيين مقابل المتدينين. يحيل المحافظون إلى التمسك بعادات وتقاليد وموروث ديني من دون أن يكونوا متزمتين أو علمانيين بل في الوسط بين الإثنين، وأظهرت الدراسات التي يقوم بها معهد جوطمان للدراسات المسحية أن «فئة المحافظين تتميز بتركيز عالٍ بين الشرقيين فيما تتميز فئات العلمانيين ومعادي التدين في أغلبهم بأصولها الغربية».[٦٣] أسهم هذا التغير من صراع إثني بين أشكنازيين وشرقيين في إعادة نظم الصراع ليكون بين يمين يهودي محافظ ويسار علماني، ولخص في هذا السياق عالم الاجتماع نسيم مزراحي الصدع الإثني بعلاقته بالصدع الاجتماعي والسياسي:

> «الجهاز السياسي في إسرائيل عالق بسبب صدع عميق بين جماعات الهوية. في التدرج بين يهودية وديمقراطية-كان تكتل الوسط اليسار يرغب في أن يرى الديمقراطية كبطاقة هوية لدولة إسرائيل. لقد رأى هذا التكتل النظام السياسي والاجتماعي بمفاهيم علمانية وديمقراطية عامة. يتخيل مؤيدوه إسرائيل دولةً غربية حديثة ويتخيلونها دولة ككل الدول ولها طابع يهودي. في تكتل اليمين توجد أهمية أكبر للهوية اليهودية وتأتي قبل الديمقراطية. هذه هي الهوية المحلية التي ترتبط بالقومية اليهودية وكل ما يرتبط بالدفاع عن الهوية اليهودية للدولة قبل أي شيء آخر».[٦٤]

تظهر معطيات التصويت المتواترة نجاح إستراتيجية الربط بين الشرقيين واليمين واليهودية في معادلة واحدة، وفي ترسيخ نمط التصويت لأجزاء واسعة من الشرقيين خاصة من الطبقات الأقل حظًا لليمين بتنوعاته دون أن يكون هذا التصويت متعلقًا بتغيير واقعهم الاقتصادي والاجتماعي. فقد أظهرت نتائج انتخابات الكنيست الـ ٢٤ (آذار ٢٠٢٠) أن السكان في البلدات والمدن التي تندرج في النصف الأدنى من عنقود التدرج الاجتماعي الاقتصادي (يتدرج العنقود من الأدنى ١ إلى الأعلى ١٠) تصوت بكثافة لليمين واليمين المتطرف والاستيطاني، فيما تميل البلدات والمدن في أعلى السلم التي تكون عادة أشكنازية وعلمانية للتصويت لليسار والوسط. ففي سديروت ذات الأغلبية الشرقية التي تقع على خط المواجهة مقابل غزة، وتصنف في العنقود الرابع حصل الليكود في انتخابات آذار ٢٠٢٠ على ٤١٪ من الأصوات يليه بنحو ١٣٪ من الأصوات حزب يمينا، وفي كريات ملاخي صوت ٤١,٩٪ لليكود، وفي ديمونا التي تصنف أيضًا في العنقود الرابع صوت ٥٤,٨٦٪ لليكود و١٠٪ لشاس، في المقابل في مدينة هود شارون التي تسكنها أغلبية أشكنازية علمانية وتصنف في العنقود التاسع ذهب أغلب الأصوات لأحزاب الوسط واليسار (٣٠٪ ليوجد مستقبل، ١٢,٨٪ لأبيض أزرق ١١,٣٪ حزب العمل ٨,١٢٪ لميرتس مقابل ١٨٪ لليكود و٦٪ لأمل جديد) وينطبق هذا النمط على باقي المدن والبلدات[٦٥] حيث يصوت بالذات من لا يتمتعون بالامتيازات بشكل مثابر لليكود، ويدعمون بشكل خاص بنيامين نتنياهو على الرغم من كونه عراب النيوليبرالية، ومن يعرقل أي حل سياسي يمكن أن يضمن الهدوء لهم في مدن التماس من جهة أخرى، وتشير المعطيات إلى أنه في انتخابات ٢٠٢٠ شكل الشرقيون ٥٦٪ من مصوتي الليكود، والأشكناز ٣٠٪.

تأتي هذه المعطيات على الرغم من التغيرات الواسعة التي مرّ بها حزبا العمل والليكود، وعلى الرغم من أن شخصيات من أصل شرقي نجحت في تبوأ رئاسة حزب العمل (عمير بيرتس وآفي غباي) فيما ما زالت قيادة الليكود أشكنازية ولم ينجح غير شخصين من أصول شرقية في الوصول للعشرة الأوائل في الليكود في الانتخابات الأخيرة، إلا أن الشرقيين استمروا بالتصويت لليكود خاصة

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

واليمين عامة، إذ يشير أحد الأبحاث أنه في ٢٠١٥ صوت بين ٧٠ و٨٠٪ من الشرقيين لأحزاب اليمين.[٦٦] ويثير تصويت الشرقيين الواسع لليمين وانضواءهم تحت مظلة حركات متطرفة فاشية مثل لهافا أو تجند أبناء الطبقات الفقيرة لشبيبة التلال، أن العلاقة بين الانزياح نحو اليمين المتطرف وسط الطبقات الضعيفة والأقل حظًا يتعدى فكرة الخسارة الاقتصادية العينية نحو مفاهيم الخسارة والربح في علاقتها باقتصاد المشاعر، ما يفسر إسناد الأحزاب الشعبوية خطابها على فكرة «الربح المعنوي» التي تتجلى بشعارات رنانة من قبيل نخسر اقتصاديًا ونربح وطننا أو نربح كرامتنا وغيرها من الشعارات، هو ما يخلق مساحة لليمين المتطرف للمناورة عبر الاستثمار في ما يخلق الأثر على الناخب، وبحسب أدورنو أن ما يميز تيارات اليمين المتطرف هو توليفها بين الأدوات العقلانية والأهداف غير العقلانية، والاستثمار بالأثر على حساب الهدف، إذ إن هذه التيارات تستثمر بشكل ضخم في الدعاية وخلق الأثر على الجمهور فيما تزيح الهدف نحو الهامش وتحوله إلى شيء ثانوي، ما يعني الاستثمار بالمشاعر الجماهيرية، بتحريكهم عبر ضخ المؤثرات كما يجري مع تكرار الشعارات القصيرة المباشرة وباللغة البسيطة الساذجة.

تحول الربط بين اليمين وقيم اليهودية المحافظة والشرقيين مقابل اليسار والانحلال إلى محور في خطاب السياسيين الشرقيين في اليمين، مثلًا انتقد عضو الكنيست عن حزب الليكود دافيد أمسالم وهو من أصول مغربية «أنه لا يعيش في دولة يهودية؛ وإنما في دولة يتواجد فيها اليهود، حيث إن «نضال» دولة إسرائيل بعيد كل البُعد عن القضايا المهمة والحيوية كالقضايا المتعلّقة بالدين». كما اعتبر أن «النضال يجب أن يكون اليوم ضد «اليسار» الذي يُريد أن يقضي على كل المظاهر والرموز الدينية في الدولة، وتحديدًا على قيم العائلة اليهودية». كما أكّد في أكثر من مناسبة على «هويته الدينية المحافظة»، فقد نشأ في «بيت متدين، كما كلّ الإسرائيليين والليكوديين»، «وأن الدولة اليهودية ستختفي بمجرّد أن يتم المساس بالقيم اليهودية التي قامت عليها، ومن يسعى لاقتلاعها والمساس بها لا يختلف عمّا يريده حسن نصر الله في إنهاء دولة اليهود والقضاء على اليهود».[٦٧]

أما ميري ريغيف، عضو الكنيست عن حزب الليكود، فهي ترى «أنها شرقية تمثّل الليكوديين، وأن جدعون ساعر يُمثّل «إسرائيل الأولى»؛ حيث يبصق في وجه الشرقيين، وأنه ينتمي للتيار نفسه الذي يتعاون مع محكمة العدل العليا، ويريد فصل الدين عن الدولة؛ وترى أن اليسار يُقدّم ديمقراطيته على يهوديته، بعكسها، التي ترى في نفسها يهودية قبل أن تكون ديمقراطية».[٦٨]

وتلخص غيل طال شير أن ربط اليمين الجديد بالهوية اليهودية الصهيونية مقابل النفور من الإسرائيلية تحول لحجر زاوية في خارطة الهويات السياسية الحزبية، وبحسبها فإن من يعرف نفسه كإسرائيلي سيتم ربطه مع اليسار، فيما سيتم ربط من يعرف نفسه أولًا كيهودي مع اليمين، إذ إن «اليسار نسي ماذا يعني أن تكون يهوديا»، بل إن اليسار سيتحول تدريجيًا إلى نعت يعبر عن الاحتقار وسيطلق على اليساري وسط لعب لغوي بـ «small" التي تحمل معنى يسار بالعبرية وصغير بالإنكليزية.

٤,٣ إسرائيل دولة يهودية قومية حصرية

يشكل إقرار قانون أساس «إسرائيل الدولة القومية للشعب اليهودي» في ١٨ تموز ٢٠١٨ بالقراءة النهائية ذروة التشريعات التي مررها اليمين الجديد لترسيخ الهندسة القومية للدولة على أسس إثنية قومية تراتبية.

تنطلق الرؤية الأساسية الموجهة لقانون أساس «إسرائيل الدولة القومية للشعب اليهودي» ك-ما تجلت في بنوده المختلفة، وكما عبرت عنها تصريحات السياسيين المبادرين والداعمين له- من حقوق ومصالح الشعب اليهودي في إسرائيل والعالم وسط استبعاد أي قيم مواطنة احتوائية تضمن مساحة مشاركة للمواطنين الفلسطينيين في الداخل أو أي ذكر لقيم المساواة، حيث تشكل حصرية الحقوق في «أرض/ دولة إسرائيل» الناظم المركزي للقانون، حيث يتم اعتبار اليهود شعبًا وحيدًا يستحق الحقوق القومية والجماعية في إسرائيل التي يشار إليها أنها تقع في أرض إسرائيل دون إشارة إلى حدودها.

وقد جاء في البند «أ» من المبادئ الأساسية لقانون القومية أن «أرض إسرائيل هي الوطن التاريخي للشعب اليهودي، وفيها قامت دولة إسرائيل»، أما في البند «ب» فجاء «أن دولة إسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي وفيها يقوم بممارسة حقه الطبيعي والثقافي والديني والتاريخي لتقرير المصير». وفي البند «ج» تم التحديد: «ممارسة حق تقرير المصير في دولة إسرائيل حصرية للشعب اليهودي». وفي البند الثالث جاء «القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة إسرائيل». وتم في البند الخامس الإشارة إلى أن إسرائيل تكون مفتوحة «أمام قدوم

من المهم هنا الأخذ بعين الاعتبار أن عامل الحصرية اليهودية لم يستثن فقط المواطنين العرب في الداخل من منظوره بل أيضًا يبقي باقي الفلسطينيين في أراضي الـ ٦٧ في منطقة معتمة لسبب بسيط أنه حين يتحدث عن حصرية حق تقرير المصير لليهود في إسرائيل لا يعين لنا ما هي حدود إسرائيل، لكنه يعين لنا أنها تقع في أرض إسرائيل أي أرض فلسطين التاريخية الممتدة من البحر إلى النهر.

اليهود ولمّ الشتات.» وفي البند السادس التأكيد على علاقة إسرائيل بيهود العالم «تهتم الدولة بالمحافظة على سلامة أبناء الشعب اليهودي ومواطنيها، الذين تواجههم مشاكل بسبب كونهم يهودًا أو مواطنين في الدولة» وأن الدولة «ستعمل في الشتات للمحافظة على العلاقة بين الدولة وأبناء الشعب اليهودي».

ولم يتم ذكر العرب في القانون إلا من خلال «السلب» عبر تخفيض مكانة اللغة العربية من لغة رسمية إلى لغة ذات مكانة خاصة كما جاء في البند الرابع «ب» «اللغة العربية لها مكانة خاصة في الدولة؛ تنظيم استعمال اللغة العربية في المؤسسات الرسمية أو في التوجه إليها يكون بموجب القانون.»

وشكل هذا القانون نقطة فارقة في المسيرة التشريعية للدولة، باعتماده على ثنائية الحضور الطاغي للعنصر اليهودي مقابل تغييب المواطن الفلسطيني وإسقاطه من حساباتها. في هذا السياق يشكل الشعب اليهودي الوحدة الوحيدة التي يحق لها حق تقرير المصير في الدولة، لكن هذ الشعب لا يقصد به المواطنون الفعليون في إسرائيل بل يشمل كل أعضاء الشعب اليهودي الموزعين في العالم، بغض النظر عن علاقتهم ومدى انتمائهم أو حتى رغبتهم في أن يكونوا جزءًا من هذه الكينونة، في المقابل يغيب عن هذا الوحدة المواطنون الفلسطينيون أبناء البلاد الذين يشكلون نحو ٢٠٪ من المواطنين، هذه حالة فريدة بالتأكيد من حيث تغييب «وحدة المواطنة»، وتحويلها من وحدة للاحتواء وأساس لديموس جماعي ومواطنة جامعة في الدولة، إلى وحدة مبنية بدئيًا على الإقصاء والإبعاد لجزء من المواطنين على أساس قوميتهم، في هذا السياق يتم تشكيل وحدة المواطنة بوصفها «إثنوس عابر للحدود»، يضم بشكل أوتوماتيكي اليهود في كل العالم لدائرة «المواطنة الممكنة» التي تنظَم وتهندَس إثنو-عرقيًا، متمحور حول فكرة الشعب اليهودي وفوقيته، حيث يتم نحت القيم الموجهة للدولة والحقوق وفق عامل الإثنية العرقية اليهودية التي لا تميز فقط ضد الفلسطينيين بل لا تراهم أصلًا.

من المهم هنا الأخذ بعين الاعتبار أن عامل الحصرية اليهودية لم يستثن فقط المواطنين العرب في الداخل من منظوره بل أيضًا يبقي باقي الفلسطينيين في أراضي الـ ٦٧ في منطقة معتمة لسبب بسيط أنه حين يتحدث عن حصرية حق تقرير المصير لليهود في إسرائيل لا يعين لنا ما هي حدود إسرائيل، لكنه يعين لنا أنها تقع في أرض إسرائيل أي أرض فلسطين التاريخية الممتدة من البحر إلى النهر، وهو ما يعيد للأذهان فكرة الفرق التوراتية بين مملكة إسرائيل التي أسسها يهوشاع بن نون والأرض الموعودة، إذ تشكلت هذه المملكة وفق الرواية التوراتية على جزء من الأرض الموعودة وليس كلها، ووفق التحليلات الدينية للحاخامات اليهود فإن ما لم يحتل من الأرض الموعودة ظل بمثابة أرض ممكنة للاحتلال شرعًا.

٤,٤ السيطرة على الحدّ الأقصى من «أرض إسرائيل»

إذا لم يكن هنالك حق لليهود في الاستيطان في الخليل وفي بيت ايل، فليس لهم الحق أيضًا في البقاء في حيفا ويافا(نتنياهو)

أصبحت حدود «القوة» بعد احتلال ١٩٦٧ تشكل حدود «أرض إسرائيل»، وتحول دور اليمين من المطالبة إلى تعليم الحدود عبر الاستيطان على الأرض وضخ المستوطنين من قبل الحكومات الإسرائيلية التي رأسها الليكود بشكل خاص لاحتلال ما يمكن من الأرض عبر الاستيطان. وفي مواجهة المطالبات بوقف الاستيطان قامت حكومة نتنياهو في العام ٢٠١١ بتعيين القاضي أدموند ليفي وهو ليكودي سابق ليضع تقريرًا عن شرعية الاستيطان، وخلص ليفي إلى أن «يهودا والسامرة» ليست أراضي محتلة بحسب القانون الدولي، وطالب بتبييض البؤر التي بنيت بدعم الحكومي. كان تعيين ليفي بسبب كونه نائب رئيس بلدية الرملة عن الليكود كما صرح سيلفان شالوم وزير

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

الخارجيــة ســابقًا.[٦٩]

مــن المهــم الإشــارة إلى أن الموقــف مــن أرض إسرائيــل والعلاقــة معهــا عــلى الرغــم مــن مــا تبــدو عليــه مــن صلابــة أيديولوجيــة فإنــه يتشــكل وفــق المتغــيرات الجيوسياســية ، إذ إن أرض إسرائيــل تحولــت مــن الضفتــين إلى فلســطين ومــن فلســطين كاملــة إلى فلســطين بــدون غــزة، كمــا انتقــل موقــف اليمــين الجديــد مــن رفــض كامــل لأي تســوية ومــن تبنــي فكــرة الجــدار الحديــدي لجابوتنســكي نحــو فكــرة الحكــم الذاتــي كمــا صيغــت في اتفــاق كامــب ديفيــد الــذي وقعــه مناحيــم بيغــن مــع الســادات، وتحولــت الفكــرة مجــددًا مــن رفــض اتفــاق أوســلو إلى توقيــع بنيامــين نتنياهــو اتفــاق واي بلانتشــن الــذي انســحبت بموجبــه القــوات الإسرائيليــة مــن أجــزاء مــن الخليــل. بالطبــع ســعى اليمــين إلى المنــاورة مــن أجــل تقليــص حجــم أي انســحاب وإفشــال أي تســوية حقيقيــة، لكنــه كان في ظــل وجــود ضغــوط دوليــة يســتجيب للضغــوط تمامًــا كمــا يحــاول اقتنــاص الفــرص لتحقيــق مخططاتــه الاســتيطانية كمــا تــم خــلال حكــم ترامــب وطــرح فكــرة الضــم مــن قبــل نتنياهــو التــي كانــت تهــدف إلى تحويــل حالــة الأبارتهايــد مــن حالــة بحكــم الأمــر الواقــع إلى حالــة بحكــم القانــون.

تظهــر متابعــة الصيــغ المختلفــة لتيــارات اليمــين الجديــد أن هنــاك تنوعًــا في معــادلات التســوية وصيغهــا المطروحــة مــن طرفــه للتعامــل بشــكل خــاص مــع الأراضي المحتلــة عــام ١٩٦٧، تــتراوح هــذه الصيــغ بــين فكــرة الحكــم الذاتــي الــذي كان مناحيــم بيغــن أول مــن أبــدى اســتعدادًا لقبولــه، والانســحاب مــن أجــزاء معينــة مكتظــة، وطرحــت صيــغ للتســوية تحــت عنــوان الســلام الاقتصــادي، و»الدولــة مينــوس» «منقوصــة الســيادة»، وأخــيرًا «تقليــص الــصراع. جديــر بالذكــر أن نتنياهــو عــبر في كتابــه مــكان بــين الأمــم عــن رفضــه المطلــق إقامــة دولــة فلســطينية في الأراضي المحتلــة عــام ١٩٦٧: «إن دولــة فلســطينية، مثلهــا مثــل اليــد الممــدودة لخنــق شريــان الحيــاة لإسرائيــل الممتــد عــلى طــول ســاحل البحــر مــن حيفــا وحتــى أشــكلون. لــذا، فليــس مــن الغريــب أن تجــد معظــم الإسرائيليــين يرفضــون هــذه الفكــرة، ويــرون فيهــا خطــرًا مميتًــا للدولــة».[٧٠]

وأوضــح نتنياهــو في كتابــه عــن وجــود حــل ممكــن للنــزاع بــين الشــعبين:»هنالك حــل للنــزاع بــين الشــعبين، يتمثــل بإقامــة دولتــين: دولــة يهوديــة للشــعب اليهــودي المقيــم غــرب نهــر الأردن، ودولــة عربيــة للشــعب العربــي الــذي يقيــم معظمــه شرقــي النهــر». وأضــاف: «إن القــول بــأن الأردن، هــي الدولــة الفلســطينية، هــو تعريــف لوضــع قائــم وموجــود، وليــس صياغــة حقــوق. كمــا أنــه ليــس دعــوة للقيــام بــأي عمليــة، ولا لاســتبدال نظــام الحكــم في هــذه الدولــة». عــن نــوع الحقــوق التــي يمكــن أن تعطــى للفلســطيني في الأرض المحتلــة يضيــف نتنياهــو:

> «الفلســطيني الــذي اختــار العيــش في الضفــة الغربيــة، يجــب عليــه الاعــتراف بحقيقــة أنــه اختــار أن يكــون أقليــة في منطقــة خاضعــة لســلطة الدولــة اليهوديــة. ولا يحــق لــه المطالبــة بدولــة فلســطينية ثانيــة في الضفــة الغربيــة، مثلمــا لا يحــق لعــرب إسرائيــل المطالبــة بدولــة فلســطينية ثالثــة في الجليــل ورابعــة في النقــب». ويضيــف: «إن الموضــوع الــذي يجــب مناقشــته والتفــاوض بشــأنه مــع عــرب الضفــة الغربيــة هــو مســألة صفتهــم المدنيــة وليــس مطالبتهــم بالســيادة العربيــة عــلى هــذه المناطــق الحيويــة لمســتقبل إسرائيــل».[٧١]

في هــذا الإطــار، يشــكل الإجمــاع عــلى الاســتيطان ودعــم توســعه محــور اليمــين الجديــد، لكــن تــتراوح درجــة النشــاط فيــه، إذ إن اليمــين الاســتيطاني بتياراتــه الحزبيــة المختلفــة يتمحــور حــول مــشروع الاســتيطان ويعتــبره جــزءًا مــن تحقيــق خطــة الخــلاص الربانــي وفرضًــا إلهيًــا دينيًــا، ويتعــاون مــن أجــل توســيعه مــع التيــارات الأفنجيليــة التــي يتعــارض ثيولوجيًــا معهــا لكنــه يتقاطــع معهــا سياســيًا.

في المقابــل، ينــاور الليكــود بحســب الســياق الجيوســياسي ليــس فقــط في مــا يتعلــق بالاســتيطان، بــل أيضًــا بالتســوية. فقــد جمــد نتنياهــو الاســتيطان في القــدس في العــام ٢٠١٣ عــدة أشــهر في ظــل إدارة بــاراك أوبامــا، ثــم عــاد وأطلقــه في ظــل إدارة ترامــب، وأعلــن قبــول حــل الدولتــين في خطــاب جامعــة بــار إيــلان الأول في ٢٠٠٩، وأعلــن انــه يدعــم «إقامــة دولــة فلســطينية غــير مســلحة بجانــب دولــة إسرائيــل اليهوديــة»، ثــم تراجــع عنــه عشــية انتخابــات العــام ٢٠١٥، وأعلــن أنــه في حــال انتخابــه لــن تقــوم دولــة فلســطينية، لكنــه بــرر ذلــك بالمخاطــر الأمنيــة مشــيرًا إلى أن «كل مــن ســيقيم اليــوم دولــة فلســطينية وســيخلي أراضي ســيعطي أراضي هجــوم للإســلام المتطــرف ضــد إسرائيــل. اليســار يضــع رأســه في الرمــل مــرة وراء الأخــرى ويتجاهــل ذلــك». وفي العــام ٢٠١٧ عــاد وأعلــن أنــه مســتعد لإقامــة دولــة فلســطينية «مينــوس» موضحًــا «ليــس بالضبــط دولــة مــع كل الصلاحيــات، بــل دولــة مينــوس».[٧٢] وفي نهايــة العــام ٢٠١٧ تبنــى مركــز الليكــود قــرارًا يدعــو إلى فــرض "الســيادة

في هذا الإطار، يشكل الإجماع على الاستيطان ودعم توسعه محور اليمين الجديد، لكن تتراوح درجة النشاط فيه، إذ إن اليمين الاستيطاني بتياراته الحزبية المختلفة يتمحور حول مشروع الاستيطان ويعتبره جزءًا من تحقيق خطة الخلاص الرباني وفرضًا إلهيًا دينيًا، ويتعاون من أجل توسيعه مع التيارات الأفنجيلية التي يتعارض ثيولوجيًا معها لكنه يتقاطع معها سياسيًا. في المقابل، يناور الليكود بحسب السياق الجيوسياسي ليس فقط في ما يتعلق بالاستيطان، بل أيضًا بالتسوية.

الإسرائيلية" على الضفة الفلسطينية المحتلة، على أن يكون هذا موقفًا ملزمًا لجميع أعضاء الحزب. ومع إعلان ترامب عن صفقة القرن في كانون الثاني ٢٠٢٠ أعلن نتنياهو من جهة قبوله خطة ترامب لكنه أيضا أعلن عن خطته للضم التي سوقها بأنها جزء من خطة ترامب ومتماشية معه، على الرغم من أنه طرحها في أيلول ٢٠١٩ قبل أن يعلن الأخير عن خطته في كانون الثاني ٢٠٢٠.

من جهته طرح نفتالي بينت في العام ٢٠١٢ خلال توليه منصب رئيس مجلس الاستيطان خطة «التهدئة» التي تنص على ضم مناطق «ج» التي تشكل ٦٠٪ من الأراضي الفلسطينية لإسرائيل بشكل أحادي وإعطاء ٥٠ ألف فلسطيني ممن سيكونون ضمن المناطق التي ستضم هويات زرقاء وتمرير غزة لمصر،[٧٣] ثم عاد بينت واقترح «إدارة الصراع» التي تعتمد على أفكار الباحث ميخا غودمان حول تقليص الصراع، والفكرة نفسها تبناها أيضًا جدعون ساعر من حزب «أمل جديد» المنشق عن الليكود.[٧٤]

أما بتسلئيل سموتريتش الذي يمثل الحردلية الاستيطانية فطرح «خطة الحسم» التي وضعها على هدي سياسات يهوشوع بن نون تجاه سكان البلاد التي احتلها. تنطلق خطة سموتريتش من الاعتقاد بأنه لا يوجد بين النهر والبحر مكان إلا لدولة واحدة هي «دولة إسرائيل التي تستند شرعيتها على الحق الإلهي وعلى اتفاق شعوب العالم في لحظة تاريخية نادرة للمساعدة من أجل تحقيق الرؤيا وإعادة البلاد لشعب إسرائيل»، وتضع الخطة أمام الفلسطينيين ثلاثة خيارات: أن يتركوا البلاد، أن يعيشوا في البلاد كرعايا يكونون بحسب الشرائع اليهودية بطبيعة الحال أقل مكانة من اليهود، أو أن يقاوموا وحينها سيعرف الجيش ماذا عليه أن يفعل. وحين سئل سموتريتش إن كان يعي أن ذلك يعني قتل عائلات وأطفال ونساء، أجاب أنه في الحرب نتصرف كما في الحرب. وبحسب سموتريتش بعد أن وصل حل الدولتين إلى طريق مسدود يتعين على المجتمع الإسرائيلي أن يستعد لـ «حسم الصراع» إذ من المستحيل أن تتسّع «أرض إسرائيل» لحركتين وطنيتين/ قوميتين متناقضتين لا يُمكنهما العيش معًا تحت أي ظرف أو شكل من أشكال الحلول المطروحة.

يقول سموتريتش إن المنطقة الواقعة غرب الأردن، التي يُطلق عليها «أرض إسرائيل» تتسع فقط لقومية واحدة هي اليهودية، وبموجب ذلك، لا يُمكن أن تقوم أي قومية عربية، وأن ذلك سيعزّز الإرهاب فقط، وعليه يجب فرض «السيادة الإسرائيلية» الكاملة على «يهودا والسامرة» وإقامة مستوطنات وتجمّعات جديدة واستجلاب مئات الآلاف من اليهود للعيش فيها، وبذلك؛ تُثبت إسرائيل، وبشكل عملي، للعرب والعالم أجمع، أن دولة إسرائيل وجدت هنا لتبقى فقط، وأن إقامة دولة عربية أو فلسطينية هو أمر مستحيل وأشبه بالحلم. واستنادًا إلى هذه النقطة؛ سيكون أمام العرب المتواجدين في «أرض إسرائيل» خياران، الأول؛ أولئك الذي يتقبّلون فكرة «دولة إسرائيل في أرض إسرائيل الكاملة» ويتنازلون عن طموحاتهم القومية، سيكون بإمكانهم العيش في دولة إسرائيل اليهودية، الثاني؛ من لا يُبدي استعداده لقبول الشرط الأول، سيحصل على مساعدة من اليهود للهجرة لإحدى الدول العربية الكثيرة، وفيها يستطيع تحقيق طموحاته القومية، أو لأي مكان آخر في العالم. ومن لا يقبل بهذين الخيارين، ويختار المواجهة مع الجيش واليهود، سيتطلّب من اليهود والجيش القضاء عليه بطرق وشروط لم يتم طرحها واختيارها مسبقًا.[٧٥] جاءت خطة سموتريتش - بناء على ما ألمح إليه لاحقًا - مبنية على هدي يهوشوع بن نون وتعامله مع السكان المحليين بعد أن عبر نهر الأردن واحتل بلادهم، وبحسب الأسطورة أرسل يهوشوع

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

بن نون لسكان البلاد ثلاث رسائل فيها ثلاثة خيارات أوضحها موسى بن ميمون الرمبام: إذا لم يهرب سكان البلاد يجب أن تفرض عليهم قيود، أن يكونوا مهانين ومحتقرين وأن لا يرفعوا رأسًا في إسرائيل». وإن عارضوا ذلك «لا نترك منهم نفسًا». ويلخص تومر بريسكو أن خيارات سموتريتش للفلسطينيين تضعهم فعليًا أمام الاختيار: إما الترحيل (ترانسفير) أو الأبارتهايد أو الإبادة.

وطرح نير بركات من جهته خطة تعزيز الاستيطان التي صيغت بالتشاور مع «فورم كوهيلت»، وجاء طرح بركات هذا كجزء من استباق معركة وراثة رئاسة الليكود في حال خروج نتنياهو الذي فشل في تشكيل حكومة وتحول إلى رئيس المعارضة في أعقاب إقامة حكومة التغيير. اختيار بركات هذا يعكس الأجواء المهيمنة من أن «الاستثمار» في الاستيطان هو ممر النجاح في الليكود خاصة واليمين عامة.

تظهر متابعة السلوك السياسي والخطابي لتيارات اليمين الجديد وشخصياته كما استعرض جزء منها أعلاه إلى وجود توافق حالي على فكرة «أرض إسرائيل مينوس» بحسب النقاط الآتية:

- اعتبار مناطق «ج» جزءًا من أراضي إسرائيل التي سيتم ضمها لاحقًا في الظروف الملائمة، ونزع شرعية الوجود الفلسطيني فيها والسعي إلى محاصرته وتقليصه إلى الحد الأدنى الممكن.
- رفض إقامة دولة فلسطينية تتمتع بصلاحيات حقيقية وسيادية والقبول بدل ذلك بشكل من أشكل الحكم الذاتي.
- تجميع الفلسطينيين في معازل تحت الإدارة الفلسطينية والسيادة الأمنية الإسرائيلية.

الفارق بين الوسط واليمين واليمن المتطرف في العلاقة مع الصراع أن اليمين يطرح الحل الذي هو تحويل الأبارتهايد من قائم بحكم الأمر الواقع (De facto) إلى حل شرعي (De Jure) مع تغيير التسمية إلى دولة مينوس أو حكم محلي، فيما يتعامل معه الوسط كأمر واقع مؤقت ويتحدث عن حل الدولتين كحل يوتوبي، يتمناه لكنه لا يستطيع تحقيقه في ظل الأمر القائم في حكومة التغيير أو الظروف العامة!

يلتقي اليمين الجديد بتياراته مع باقي التيارات السياسية الصهيونية في إسرائيل (ما عدا ميرتس) تحت مظلة الوسط على مبدأ الفصل بين الأرض والسكان ، إذ إن الأرض تعامل بوصفها أرضًا إسرائيلية، وفي الخطاب الرسمي القانوني لا يتم وصفها محتلة بل «في اليد»، وتختلف درجة الاستعداد التي تبديها تيارات اليمين للتعامل مع السكان الفلسطينيين، وتتراوح بين إخضاعهم وإعطائهم مكانة مقيم دائم كما هو حال سكان القدس وحتى الحكم الذاتي في المدن والقرى المحيطة، في المقابل تتفق تيارات اليمين على اعتبار مناطق «ج» أرضًا إسرائيلية وتسعى من أجل تثبيت السيطرة عليها من أجل ضمها رسميًا.

في هذا السياق، فإن النقطة المثيرة هي أن اليمين الجديد الذي يقوده الليكود على الرغم من فجاجته وكثافة خطابه القومجي وشعبويته وابتعاده عن قيم الليبرالية لليمين التقليدي استجاب للضغط الدولي، وتبنى مواقف سياسية أكثر براغماتية مقارنة باليمين التقليدي التنقيحي وحيروت حتى توقيع اتفاقية كامب ديفيد، من خلال إعادة موضعة أرض إسرائيل في فلسطين بعد أن كانت تضم الضفتين، وثانيًا بالانسحاب من فكرة السيطرة الكاملة على الأرض والسكان والقبول بمعادلات إدارة ذاتية معينة للسكان مع الأخذ بعين الاعتبار أنه وفق نتنياهو فإن «ان الحكم الذاتي لا يعني دولة. إنه نوع من نظام حكم داخلي يسمح لأقلية قومية أو دينية بإدارة شؤونها تحت سيادة شعب آخر».[٧٦]

تقلصت الفجوة السياسية بين الأقطاب الحزبية في إسرائيل، لكنها أدت إلى تكثيف الخطاب القومجي وتطريفه وتشديد الممارسات الاستيطانية على الأرض كجزء من التعامل مع هذا التغيير، وكخطوة لمنع أي انسحاب مستقبلي، وضمن ذلك أطلق اليمين الجديد بجناحه المتدين الاستيطاني مشروع «استيطان القلوب» ليوازي استيطان التلال، وليقوي أحدهما الآخر في كامل «أرض إسرائيل». وتحيل لفظة «القلوب» إلى قلوب اليهود أنفسهم، إلى جانب «القلب الإسرائيلي» بالمعنى الجغرافي، أي المدن والبلدات الإسرائيلية المختلطة داخل الخط الأخضر؛ فنمط الحياة الديني الذي يروّج له، ويسعى لنشره جمهور الصهيونية الدينية الذي يُشكّل غالبية أعضاء هذه «الأنوية»، لا بدّ وأن يُصبح مقبولاً، ليس فقط من الناحيتين الأيديولوجية والسياسية، بل وأيضًا في الفضاء العام الإسرائيلي، أي أن يتحول مشروع تدين المظاهر العامة، وتدين المجتمع، ونشر «التوراة» في جميع أنحاء أرض إسرائيل، إلى مشروع مقبول ومُرحّب به من قِبَل الجمهور «العلماني» في إسرائيل. وفي سبيل ذلك، أُقيمت خلال العقدين الماضيين أكثر من ٦٠ «نواة توراتية»، في

الفارق بين الوسط واليمين واليمن المتطرف في العلاقة مع الصراع أن اليمين يطرح الحل الذي هو تحويل الأبارتهايد من قائم بحكم الأمر الواقع (De facto) إلى حل شرعي (De Jure) مع تغيير التسمية إلى دولة مينوس أو حكم محلي، فيما يتعامل معه الوسط كأمر واقع مؤقت ويتحدث عن حل الدولتين كحل يوتوبي، يتمناه لكنه لا يستطيع تحقيقه في ظل الأمر القائم في حكومة التغيير أو الظروف العامة!

هـذه المناطـق، بدعـم وإسـناد مـادي ومعنـوي مـن الحكومـات الإسرائيليـة المتعاقبـة.[٧٧]

الخلاصة

تشـكل اليمـين الجديـد وتطـور في سـياق الصهيونيـة المؤسِّسـة التـي انطـوت عـلى بـذور التطريـف والأصوليـة بمجـرد ارتكازهـا عـلى علمنـة الديـن وتحويـل القصـص التوراتيـة إلى خطـة عمـل، معتقـدة أنهـا يمكـن أن تسـيطر عـلى ديناميتهـا والتحكـم الدائـم بوجهتهـا وفـق حسـاباتها. وأسـهمت التحـولات الديمغرافيـة الاجتماعيـة التـي نتجـت بعد هجـرات الشرقيـين، ونسـب الـولادة العاليـة بـين الحريديـين وتشـكل المسـتوطنين معًـا في زعزعـة هيمنـة المؤسسـين، وأدت إلى إقامـة تحالـف المهمشـين بـين الليكـود والشرقيـين وصـولًا إلى الإطاحـة بحكـم مبـاي في العـام ١٩٧٧، منـذ هـذا الانقـلاب واليمـين يحكـم بشـكل شـبه مسـتمر باسـتثناء فـترات قصـيرة.

لعـب احتـلال العـام ١٩٦٧ لـلأراضي التـي تشـكل وفـق المخيـال الدينـي لـبّ أرض إسرائيـل التوراتيـة، في الدفـع نحـو الواجهـة بالجماعـات الدينيـة القوميـة اليمينيـة واليمـن القومـي اللذيـن اعتـبرا مشروعهمـا متمحـور حـول كامـل أرض إسرائيـل، اعتـبرت هـذه التيـارات المـشروع الصهيونـي غـير مكتمـل مـن غـير السـيادة عـلى كامـل أرض إسرائيـل.

شـكلت لحظـات التسوية-الانسـحاب مـن أجـزاء «أرض إسرائيـل» لحظـات حاسـمة في ولادة اليمـين الجديـد، وأدى الـصراع بـين التيـار المؤسـس واليمـين عـلى الانسـحاب مـن الأراضي المحتلـة بعـد توقيـع اتفاقيـات أوسـلو إلى اغتيـال إسـحق رابـين ودفـع الاغتيـال تدريجيًـا إلى تفـكك اليسـار وصعـود اليمـين المثابـر. ومجـددًا في العـام ٢٠٠٥ انقسـم اليمـين بـين تيـار يمينـي «دولاتـي» مثلتـه كاديمـا ومتشـدد مثلـه الليكـود بزعامـة نتنياهـو، في العـام ٢٠٠٩ عـاد هـذا اليمـين ليتصـدر المشـهد السـياسي، مسـتخدمًا أدوات الشـعبوية والتحريـض لكسـب التأييـد ونـزع الشرعيـة عـن أي معارضـة.

منـذ العـام ٢٠٠٩ ضبـط اليمـين الجديـد بشـكل واضـح الخطـاب السـياسي ومحـاوره وقيمـه، وبسـبب خطابـه المعادي لمؤسسـات الدولـة وتـآكل قيـم الدولاتيـة فقـد تعمـق الـصراع والاسـتقطاب الداخـلي، ووصـل الـصراع ذروتـه برفـض أحـزاب مـن اليمـين الانضمـام إلى تحالـف بزعامـة نتنياهـو وإجـراء أربـع جـولات انتخابيـة في عامـين بسـبب عـدم قـدرة أي مـن المتنافسـين عـلى تشـكيل ائتـلاف حكومـي، لكنـه عـاد ونجـح في ٢٠٢٢ في اسـتعادة دفـة الحكـم. وتظهـر متابعـة السـلوك والتصريحـات والخطـوط العريضـة للاتفاقيـات الائتلافيـة أن هـذه الحكومـة سـتحاول الدفـع نحـو تحقيـق مشروعهـا الشـامل لأرض إسرائيـل مـن جهـة، والدفـع نحـو قلـب الأوضـاع في الحـرم الشريـف، ناهيـك عـن إحـداث انقـلاب داخـلي في مـا يتعلـق بالقضـاء والفصـل بـين السـلطات واسـتمرار محـاصرة مؤسسـات المجتمـع المدنـي المعارضـة عـلى اختلافهـا

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.

الهوامش

١ توفي إيتان هابر في العام ٢٠٢٠ قبل أن تتحقق نبوءة البرنامج الكوميدي الساخر الذي تم بثه بين ١٩٩٣-١٩٩٧. وهابر (١٩٤٠-٢٠٢٠) هو صحافي وكاتب إسرائيلي يساري، شغل منصب مدير مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين بين ١٩٩٢-١٩٩٥. في فترة ولايته، كتب هابر معظم خطابات رابين، وكان عضوًا في اللجنة المصغرة التي صاغت بشكل سري المسودات الأولى لاتفاقيات أوسلو، مع أنه لم يشارك أبدًا في المفاوضات. كما أنه شارك في إعداد وتنظيم كل الاحتفالات التي واكبت الإعلان عن، وتوقيع، اتفاقيات السلام مع منظمة التحرير الفلسطينية والمملكة الأردنية الهاشمية.

٢ مشهد من البرنامج الكوميدي الساخر- الغرفة الخامسة، (٠٠,٠٠-٠٢,٤١). لمشاهدة العرض كاملاً انظر/ي: https://www.youtube.com/watch?v=t&Gc8ja7BiBM8=6s. في المشهد، يقدم عوزي وويل بشكل مجازي المشهد في إسرائيل بعد ٢٠ عامًا على اغتيال رابين، ذلك على لسان الممثل هويبرجر الذي يتقلّد شخصية المتطرّف اليميني يغئال عمير- قاتل رئيس الوزراء الإسرائيلي- إسحق رابين ١٩٩٥.

٣ باراك رابيد، «نتنياهو: لا أريد دولة ثنائية القومية، لكن لا بد من السيطرة على كل الأرض في المدى المنظور»، في هآرتس، بتاريخ ٢٦ تشرين الأول ٢٠١٥. انظر/ي: https://bit.ly/3GLV0tg

٤ للمزيد انظر/ي مركز مدار «ملف خاص- حكومة نتنياهو السادسة: يمينية، استيطانية، دينية، ومتطرفة»، كانون الثاني ٢٠٢٣ على الرابط الآتي: https://bit.ly/3IYKZvF

٥ ليا سبيلكين، «من داعم لمنظمة إرهابية إلى عضو كنيست: كيف استطاع بن غفير أن يتحول إلى ممثل للشعب؟»، في ماكو، بتاريخ ٢٤ آذار ٢٠٢١. انظر/ي: https://bit.ly/3QPz4C1

٦ باروخ لشام، «نتنياهو قلق؟ عن الترامبيزم والبيبيزم والشعبوية»، في واي نت، بتاريخ ١١ أيلول ٢٠٢٠. انظر/ي الرابط الآتي: https://www.ynet.co.il/news/article/SkVxkZVYv

٧ أمنون راز كوركوتسكين. وعي المشناه ووعي التوراة (القدس، فان لير: ٢٠٢٢)

٨وثائقي، «كينغ بيبي»، فيلم من إخراج دان شادور، إنتاج عام ٢٠١٨.

٩ ميليشيا نازية عملت تحت قيادة هتلر، وساندت الجيش الألماني، وكانت عقيدتها مبنية على العنف المطلق. ساهمت بشكل فعال في مذابح اليهود (الهولوكوست)، وباتت تعتبر رمزًا لهلاك شعب إسرائيل أو إبادة اليهود.

١٠ مثلًا، طقس بولسا دينورا (Pulsa diNura)، هو طقس يهودي قديم يُزعم أنه يتم فيه استدعاء الملائكة «المدمرين» لمنع الغفران السماوي الذي قد يغفر لخطايا أحد الأشخاص (مثل خطيئة «رابين» في الوصول إلى اتفاق أوسلو). ويعتقد مقيموا هذا الطقس أنه يتسبب في حدوث جميع اللعنات المذكورة في التوراة مما يؤدي إلى وفاة المخطئ الذي لن يتسنى له الحصول على مغفرة السماء. إنه مثير للجدل لأنه تم التذرع به ضد العديد من الشخصيات السياسية المعاصرة. وينسب إلى الحاخام اليهودي المتطرف يوسف ديان، أنه قاد طقوس بولسا دينورا للعنة كل من إسحق رابين (وقع اتفاق أوسلو) وأرئيل شارون (انسحب من قطاع غزة). انظر/ي مثلًا، الطقس للعنة شارون على الرابط الآتي: https://www.youtube.com/watch?v=E3eRMzA0vtg

١١ يائير نهورائي. الثورة الثالثة (إصدار خاص، ٢٠٢٢)، ص: ٦٦.

١٢ المصدر نفسه، ص: ٦٧

١٣ يورام باري. يد مجهول وإخوانه: قتل رابين ومعركة الثقافة في إسرائيل (القدس: إصدارات بابل: ٢٠٠٥)، ص: ٤٠٦

١٤ إيلان مارسيانو، «حكومة شارون حظيت بثقة الكنيست: على حافة الأصوات»، في واي نت، بتاريخ ٢ شباط ٢٠٠٤. انظر/ي: https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-2868765,00.html

١٥ داني فيلك، التحول إلى الرادكالية السياسية في إسرائيل: من هابيوتس شعبوي إلى شعبوية اليمين الراديكالي في الحكومة، مجلة قضايا إسرائيلية، العدد ٨٣، ٢٠٢١.

16 Amal Jamal, "The Rise of "Bad Civil Society" in Israel: Nationalist Civil Society Organizations and the Politics of Delegitimization", Stiftung Wissenschaft und Politik -SWP-Deutsches Institut für Internationale Politik und Sicherheit, (2018).

١٧ سلام الآن، «من يمول جمعيات اليمين»، إصدارات سلام الآن، بتاريخ ١٨ كانون الأول ٢٠١٥. انظر/ي: https://bit.ly/3ZK4DBn

١٨ بنيامين نتنياهو. مكان بين الأمم: إسرائيل والعالم (عمان، الأهلية للنشر والتوزيع: ١٩٩٦)، ص:٤٢

١٩ المصدر نفسه.

٢٠ المصدر نفسه.

٢١ ارز تدمور وأرئيل سجال. نكبة خرطة: الكراسة التي تحارب من أجل الحقيقة (القدس، إم ترتسو: ٢٠١١)، ص: ٤٣.

٢٢ نتنياهو. مكان بين الأمم...، ص: ٤٦.

٢٣ يهودا موريائيل، فريضة احتلال البلاد وسكانها. منشور في العام ١٩٧٧، على الموقع الآتي: https://www.daat.ac.il/daat/toshba/madrich/mitsvat.htm

٢٤ للمزيد انظر مراجعة محمود محارب لكتاب توراة الملك، بعنوان «توراة الملك وقتل الفلسطينيين». (الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: ٢٠١١).

٢٥ المصدر نفسه.

٢٦ في القبالاة، حضرة الله، أو الشيكينة هي ترجمة لكلمة عبرية تعني «مسكن» أو «تسوية» ويشير إلى مسكن أو استقرار الوجود الإلهي لله. هذا المصطلح غير موجود في الكتاب المقدس، وهو من الأدب الحاخامي. والمعنى المجازي هو حضر الله بين جماعات مثلا في المعابد أو الهيكل أو خلال الصلوات.

٢٧ نهورائي، مصدر سابق. ص: ٥٢.

٢٨ نهورائي، مصدر سابق. ص: ٨٧.

٢٩ انظر/ي: https://www.youtube.com/watch?v=RHk-K6qz2cHM

٣٠ جيل طالشير، ثياب الإمبراطور الخفية: الفلسطينيون ونهاية عملية السلام (مجموعة الأزمات الدولية: تقرير الشرق الأوسط رقم ١٢٢، ٢٠٢٠).

٣١. غادي طاوب، المتجولون والمستقرون: نضال النخب ضد الديمقراطية الاسرائيلية. (تل أبيب: دار سيلع وشيبولت، ٢٠٢٠).

٣٢ شاي عنبر، «د. شمال ود. سمول»، في جوكوبوست، بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ٢٠١٥. انظر/ي الرابط الآتي: https://jokopost.com/politics/5143/

٣٣ محكمة العدل العليا، «ملف ٦٦٩٨/٩٥ قعدان وآخرون ضد سلطة أراضي إسرائيل وآخرين- قرار حكم»، بتاريخ ٨ آذار ٢٠٠٠. انظر/ي نص القرار بالعبرية على الرابط الآتي: https://hamoked.org.il/files/2011/4240.pdf

٣٤ راجع/ي: أنطوان شلحت، «المشهد السياسي الداخلي»، في تقرير مدار الإستراتيجي ٢٠١٢ للعام ٢٠١١ (المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله: ٢٠١٢): ١١١-١٤٩.

٣٥ ابيشاي بن حاييم، «الشرقيون وبيبي: بيانات لإظهار الحقيقة»، في

إسرائيل هيوم، بتاريخ ١٦ آب ٢٠٢٠. انظر/ي الرابط الآتي: https://bit.ly/3iQPptM

٣٦ المجموعة الدولية لإدارة الأزمات، «ثياب الامبراطور الخفية: الفلسطينيون ونهاية عملية السلام»، (المجموعة الدولية لإدارة الأزمات، تقرير الشرق الأوسط رقم ١٢٢، ٢٠١٢).

٣٧ المصدر نفسه.

٣٨ إسحق كونفورت، «اليهودي الجديد في الفكر الصهيوني: القومية، الأيديولوجيا والهيستوغرافيا». مجلة إسرائيل، العدد ١٦، العام ٢٠٠٩.

٣٩ المصدر نفسه، ص:٧١.

٤٠ ماكس نورداو. ماكس نورداو إلى عامو: رسائل سياسية (تل أبيب، إصدار سياسي: ١٩٤٥)، ص: ١٧٣-١٧٨.

٤١ زئيف جابوتنسكي، «فكرة بيتار، أساسيات رؤية العالم من جهة نظر بيتار»، في: الطريق إلى الدولة (القدس: د.ن، ١٩٥٨)، ٣٠٨

٤٢ المصدر نفسه.

٤٣ ناداف ايل، «جدار نتنياهو الحديدي»، في ماكور ريشون، بتاريخ ٣ شباط ٢٠٠٦. انظر/ي: https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/1/ART1/042/982.html

٤٤ نتنياهو، مكان بين الأمم، مصدر سابق. ص: ٢٦٦.

٤٥ نتنياهو، مكان بين الأمم، مصدر سابق. ص: ٤١٦.

٤٦ إيال خوبرز، «ثورة القضاء على الحرية في إسرائيل»، هآرتس، بتاريخ ٢٠ تشرين الأول ٢٠٢٢. انظر/ي: https://bit.ly/3ZOeQwM

٤٧ انظر/ي الرابط الآتي: https://www.maariv.co.il/journalists/Article-936650

٤٨ تعديل رقم ٤٠ لعام (٢٠١١). قانون ميزانية الدولة (١٩٨٥) - «قانون النكبة". انظر/ي موقع عدالة على الرابط الآتي: https://www.adalah.org/ar/law/view/303

٤٩ باروخ كيمرلينغ، نهاية الهيمنة الأشكنازية، ترجمة نواف عثمانة، (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار، ٢٠٠٢) ص: ٢٧٤.

٥٠ المصدر نفسه.

٥١ رؤبين ريبلين، «أمل إسرائيلي: النظام الإسرائيلي الجديد»، خطاب ألقاه في مؤتمر هرتسيليا بتاريخ ٨ كانون الأول ٢٠١٥. استمع/ي إلى الخطاب الكامل بالعبرية على: https://www.youtube.com/watch?v=u6YNQu8ukuQ

٥٢ فينغر زردا، «بنية جهاز التعليم: تشريعات مركزية ومعطيات عامة (القدس، معهد البحث والمعلومات في الكنيست: ٢٠١٩). انظر/ي التقرير على الرابط الآتي: https://bit.ly/3D3nzlV

٥٣ هيئة تحرير معاريف، «من ‹اليسار ينسى كيف يكون يهوديًا› إلى ‹هم خائفون›: معجم مصطلحات نتنياهو الكامل»، في معاريف، بتاريخ ١٥ حزيران ٢٠٢١. انظر/ي الرابط الآتي: https://www.846990-maariv.co.il/news/politics/Article

54 Guy Ben Porat and Dani Filc, "Remember to Be Jewish: Religious Populism in Israel," Politics and Religion 15, no. 1 (March 2022): 15, doi:10.1017/S1755048320000681.

٥٥ ثيودور هرتسيل، أرض قديمة جديدة: الطنويلاند (تل أبيب، دار النشر العربي: ١٩٦٨)، ص: ٨٥

٥٦ زئيف جابوتنسكي، أساسيات في رؤية العالم من وجهة نظر بيتار، (بالعبرية) (القدس: بدون دار النشر، ١٩٥٨)، ص٣٠٨

٥٧ رسالة جابوتنسكي لأهارون تسفي، بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٣٩. في معهد جابوتنسكي: بالدم والعرق يقوم لنا عِرق».

٥٨ كان خطاب بيغن مناهضًا للنخبوية، حيث هاجم نخب حزب «مباي»، التي استبعدت المزراحيين، وضمنت مكانة نخبة حزب العمال وامتيازاتها. في الخطاب الذي قدم فيه حكومته الجديدة، بعد هزيمة حزب العمل بعد ٢٩ عامًا في السلطة، قال بيغن: «سنتبع اسم ربنا إلى الأبد ... أعلن أن حكومة إسرائيل لن تطلب من أي أمة ... الاعتراف بحقنا في الوجود ... لقد تلقينا هذا الحق من الله».

59 Ben Porat and Filc, "Remember to be Jewish: Religious Populism in Israel", politics-and-religion, vol. 15, issue 1, 2022.

٦٠ يمكن العودة إلى نص الخطاب بالكامل من خلال الرابط الآتي: https://daat.ac.il/daat/ezrachut/begin/neum11-2.htm

٦١ باروخ كيمرلنغ، نهاية الهيمنة الأشكنازية، مصدر سابق.

٦٢ نيسم ليؤن، «التقليدية الشرقية كصدى للوجود اليهودي في العالم الإسلامي،" اكادموت ٢٣ (٢٠٠٩): ١٢٩-٤٦. انظر/ي الرابط الآتي: https://bmj.org.il/wp-content/uploads/2019/12/23.7.Leon_.pdf

٦٣ شلوميت ليفي وحنا لوينسون والياهو كاتس، اليهود الإسرائيليون: بورتريه - المعتقدات، والحفاظ على تقاليد وقيم اليهود في إسرائيل (القدس، المركز الإسرائيلي للديمقراطية: ٢٠٠٢)، ص: ٤٧

٦٤ كارولينا لندسمان، «هل ناخبو الليكود متخلفون؟ هل أنتم جادون؟ افهموا أن حلول اليسار هي المشكلة»، في هآرتس، بتاريخ ٢٦ كانون الأول ٢٠١٩. انظر/ي الرابط الآتي: https://bit.ly/3CN2I5S

٦٥ لمراجعة النتائج الكاملة لانتخابات الكنيست الـ ٢٤، انظر/ي موقع الكنيست الرسمي على https://votes24.bechirot.gov.il/cityresults?cityID=1031. ولإلقاء الضوء على أسباب تصويت اليسار لحزب الليكود، انظر/ي: جال ليفي، «لماذا يستمر اليهود الشرقيون بالتصويت لليكود؟ ,» اللسعة (هاعوكيتس)، ٢٠١٩، على الرابط الآتي: https://bit.ly/3gGWuIa

٦٦ ابيشاي بن حاييم، «الشرقيون وبيبي...»، مصدر سابق.

٦٧ شري مكوراب-بليكوب، مقابلة مع دافيد إمسالم على موقع والا الإخباري،٨تموز٢٠٢٢: https://news.walla.co.il/item/3517140

٦٨ مريا كور، «ميري ريغيف في مقابلة خاصة: أنا أولًا يهودية ومن ثم أنا ديمقراطية»، في إسرائيل هيوم، بتاريخ ١١ آذار ٢٠٢١. انظر/ي الرابط الآتي: https://www.israelhayom.co.il/article/860015

٦٩ يوشواع براينر، «الوزير شالوم يعترف: تم تعيين القاضي لأنه من الليكود»، في والا، بتاريخ ١٠ كانون الأول ٢٠١٢. انظر/ي الرابط الآتي: https://news.walla.co.il/item/2595047

٧٠ نتنياهو، مكان بين الأمم، مصدر سابق. ص: ٢٩٧.

٧١ نتنياهو، مكان بين الأمم، مصدر سابق. ص: ٣٦٢.

٧٢ باراك رابيد، «نتنياهو في جلسة وزراء الليكود: الشيء الذي أستطيع أن أقدمه للفلسطينيين هو دولة ناقصة»، في هآرتس، بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ٢٠١٧. انظر/ي الرابط التالي: https://bit.ly/3Qb7y-wN

٧٣ مارون أزولاي، «مبادرة بينيت: ضم ٦٠٪ من المناطق و٢٪ من الفلسطينيين»، في واي نت، ٢٣ شباط ٢٠١٢. انظر/ي الرابط الآتي: https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4193652,00.html

٧٤ وليد حباس، «من مفهوم «الاحتلال الخفي» لموشيه ديان إلى مفهوم «تقليص الصراع» لميخا غودمان،» في مفهوم «تقليص الصراع..» الخلفية، الغايات والمآلات. مدار، أوراق إسرائيلية ٧٥ (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية -مدار، ٢٠٢١). انظر/ي: https://bit.ly/3v9IPCz.

٧٥ بتسلئيل سموتريتش، «خطة الحسم: مفتاح السلام يكمن لدى اليمين الإسرائيلي»، هاشاليح، no. ٦ (٢٠١٧)، https://bit.ly/3wLmp-FJ.

٧٦ نتنياهو، مكان بين الأمم، مصدر سابق. ص: ٣٧٢.

٧٧ وليد حباس، «من مفهوم «الاحتلال الخفي» لموشيه ديان...»، مصدر سابق.

أقصى اليمين الجديد في إسرائيل ومشروع بناء الهيمنة الشاملة.